يحيى الجبوري

الإسلام والشعر

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

منشورات مكتبة النهضة - بغداد

(الاسلام والشعر)

١٤٣٧ هـ

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره

الإسلام والشعر

١٤٣٧ هـ

يحيى الجبوري

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

مطبعة الارشاد ـ بغداد

تقديم

بقلم

الدكتور يوسف عز الدين

العرب من ذوي النفوس الكريمة الحساسة المرهفة تؤثر فيه الكلمة الطيبة وتثيرهم العبارة السيئة وتطربهم الموسيقى الرقيقة العذبة وقد اجتمعت الكلمة المختـــارة والرنين الخالب في الشعر فكانت له المنزلـــة الاولى في نفوســـهم .

وقد انصب اهتمام العرب على الشعر فكان الشاعر يرفع الناس ويحط من مكانتهم وقد اهتم العرب بالشعر لانه كان الذائد عن القبيلة وأعراضها والحافظ لمآثرها والناطق الذي يعبر عن أمانيها وأحلامها والصارم ا لذي ينافح عنها ويهدد من يفكر بالاعتداء عليها .

ولما ظهر الاسلام أدهش القرآن العرب ببلاغته وأسرهم برائـــع اسلوبه ومتانة نسجه فلا يشبه الشعر ولا يحاكي النثر ، انه اسلوب جزل رائع حلو الالفاظ آسر المعاني بليغ الاداء فولعوا به وعكفوا على دراسته ودرسوا نحوه وضبطوا قراءاته وفسروا ما غمض من ألفاظه .

لذلك أخذ الشعراء يتأثرون شيئاً فشيئاً برونقه العذب وموسيقاه الرائعة وتعابيره المنسقة وأساليبه المبتكرة فأثر في التيارات الفكرية والادبيـــة والاقتصادية والاجتماعية فكان ثورة شاملة أثرت في حيـاة العرب . لان الاسلام لم يأت الا بعد صراع دام بين العرب وغيرهم من الامم كالاحباش والفرس بعد أن زادت الحرب من أهوالها وانتشرت الفوضى بين صفوفهم

من جراء الحروب الطويلة التي تركت الدمار والفناء فقبول الدين الجديد كان نشوة حبيبة خفف من رعب العرب وأبعد عنهم كابوس الحركات العسكرية وتهديدها لهم من كل مكان واذا بالنابغة الجعدي ينشد النبي (ص) معجبا بالنصر العربي الجديد •

بلغنا السما مجدا وجودا وسؤددا
وانّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ولو أن الشعر مات لما بقيت هذه القيم الشعرية الرائعة في التعبير وهذا الجمال في الاداء الذي أعطانا صورا رائعة لتفوق العرب الفكري وخلد دفقات الشعر الفطرية ومقاييس الفن العربي وصناعته وموسيقاه • وقد بقي الشعر عونا على فهم القرآن وتفسيره لان القرآن الكريم والشعر خير سجل لحياة العرب وقد أعان الشعر المفسرين وأهل اللغة عندما أخذوا يجمعون الشعر فظهرت الدواوين وجمعت الشواهد ودرس الشعر لأنه مادة الثقافة العربية ومتعتهم المفضلة • فلا نعجب أن نرى ظلال الحياة الجديدة واضحة المعالم في الشعر العربي لان الحياة الروحية الاسلامية اتصلت اتصالا مباشرا بأدبهم وطورت حياتهم وأرهفت أحاسيسهم واستعدوا لقبول الدين الجديد وقلما نجد شاعرا مسلما لم تسرب في شعره عناصر الحياة الاسلامية الجديدة لان الدين أصبح مقياسا للمديح والذم والرفعة والذلة •

والدين الاسلامي حدث هائل وثورة ضخمة في الحياة العربية وعلى قدر ضخامة الاحداث تكون مستلزمات نشرها والدعوة اليها ولا بد أن تكون كمية الشعر الذي هاجم الرسول الكريم كبيرة جدا لان النبي جاء بدين انهارت أمامه كثير من المثل القديمة والآراء التي عاش عليها العرب لا سيما في مكة ـ قائدة العرب وفيها قريش زعيمتهم ـ وقد كان شعر الدفاع عن الرسول كثيرا أيضا بيد أن اندفاع العرب في سبيل نشر هذا

الدين وانشغالهم المطلق بالحرب والفتوح والحفاظ على القرآن والحديث وروايته صرف كثيرا من الرواة ، والحفاظ عن حفظ الشعر وروايته لا سيما ان حافظ القرآن غدت مكانته الاجتماعية أكبر من راوي الشعر • والانسان حريص على مكانته الاجتماعية ويحب أن يكون مرموقا محترما ، وكان حفظ القرآن ورواية الحديث طريقا لهذه المكانة وقد قال ابن سلام (فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته) •

والواقع أن المكانة الاجتماعية والفخر والمسابقة في حيازته هي التي ألهت الناس عن رواية الشعر وحفظه •

وقد قال تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) •

لان الرسول ابتعد عن الشعر وكان بغيضا اليه حتى قال (ص) : « لما نشأت بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منها ثم لم أعد » لان الشاعر العربي يظن أن هناك شيطانا يلهمه هذا الشعر والشيطان والوثن مما يبعد الانسان عن فعل الخير والعبادة والخلوص لوجه الله لذلك فلا نعجب ان مالت نفس الرسول الكريم عنه ، وابتعدت لان الله جل تعالى أدّبه وأحسن تأديبه والكذب والشعر مما لا ينبغي للرسول لان أعذب الشعر أكذبه •

ولكن الرسول الكريم كان يسمع الشعر ويأنس اليه وقد كان هناك شعراء يذودون عنه وينافحون دونه فقد قدم على النبي وفد من بني تميم ومنهم الاقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ودخلوا المسجد ونادوا بصوت عال جاف : اخرج يا محمد قد جئنا نفاخرك بشاعرنا وخطيبنا ، ولما خرج الرسول قام الاقرع وأخذ يفاخر بنفسه ثم قام شاعرهم وتلاه خطيبهم • وبعدها جاء شاعر النبي حسان ابن ثابت وألقى قصيدته :

ان الذوائب من فهـر واخوتهـم
قـد بينـوا سـنة للناس تتبع

وانتهى الامر بأن اعترف الاقرع بن حابس بالرسول وقـال : والله ان هذا الرجل لمؤتى له (أي ميسر له) والله لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا[1] .

ولما أراد حسان أن يهجو الكفار أرسله النبي الى أبي بكر الصديق ليحدثه عن ايامهم وأحسابهم ولم يكن الشعر بعيدا عن أسرة الرسول الكريم وانما كان ينشد في أفراحهم وأحزانهم فقد روت السيرة النبويـة ان عبدالمطلب لما حضرته الوفاة طلب من بناته أن يبكين عليه ليسمع مـا يقلن فيه قبل موته فبكته صفية بقصيدة أولها :

ارقت لصـوت نائحـة بليـل
على رجـل بقارعـة الصعيد[2]

وبكته برة بقصيدة مطلعها :

أعينـي جـودا بـدمـع درر
عـلى طيب الخيـم والمعتصـر

ورثته عاتكة بقولها :

أعينـي جـودا ولا تبخـلا
بدمعكمـا بعـد نوم النيـام

وأعقبتهن أم حكيم وأميمة وأروى بقصائد أخرى[3] . وقد روى

(١) يراجع الاغاني في سيرة حسان والسيرة النبوية لابن هشام حـ ٤ ص ٢٠٩ وما بعدها ، وبصدد وفد همدان ص ٤/٢٤٣ وقصيـدة مالك بن نمط ص ٤/٢٤٥ .
(٢) السيرة النبوية حـ ١ ص ١٧٨ وما بعدها .
(٣) المصدر السابق

ابن اسحق قصيدة لابي طالب يعرض بالمطعم بن عدس عندما أرادت قريش قتل الرسول ومساومته فيه[٤] وأورد ابن هشام قصيدة لابي طالب يرد بها على قريش حين تظاهرت على النبي[٥] وسيرة ابن هشام تطفح بالشعر الكثير الذي يناصر الرسول الكريم اضافة الى شعر أسرته وذويه فقد وجدنا قصائد لحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن أبي رواحة ، وعلي بن أبي طالب تارة في الندب وطورا في الذب عن الرسول أو بكاءالقتلى والشهداء الذين كانوا يتساقطون في سبيل الاسلام في أحد والقليب والخندق ولست بصدد التمثيل لان في السيرة غناء كبيرا .

وخير شاهد على رضاء الرسول عن الشعر أن عبدالله بن أبي رواحة كان يرتجز بقوله :

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلو فكل الخير في رسوله[٦]

عندما دخل الرسول مكة في السنة السابعة .

وقصائد ابن الزبعرى حين أسلم تطفح بمدح الرسول وتمجيده[٧] وقصيدة كعب بن زهير أمر مشهور معروف في كتب التاريخ والادب[٨] لذلك فالشعر كان سيفا من سيوف الدعوة للاسلام وكان له دور مشرف فقد ناصر الرسول وبث تعاليم الدين الجديد وهاجم أعداءه وبث القوة والايمان في قلوب المسلمين اذ لم تكن هناك أسلحة خطابية أو بيانية أبلغ من الشعر وأشد وقعا منه على نفوس العرب خاصة ان قبيلة قريش

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٦
(٥) السيرة ص ٣٧٧
(٦) السيرة ٤/١٣
(٧) السيرة ٤/٦١
(٨) السيرة ٤/١٤٥ و ١٥٧ وما بعدها .

وأنصارها استنفروا كل شعراء العرب لمحاربة الدين الجديد محاولين اطفاء نوره والقضاء عليه واشتدت هذه المعركة ضد ثورة الاسلام واندفاعه لتحطيم مثلهم وتقاليدهم القديمة ودينهم وكثرة المناقضات والمنافرات التي تحرّج المسلمون فيما بعد من روايتها • فمات أكثر الشعر الذي يهاجم الرسول الكريم كما مات كثير من الشعر الذي يثير الاحن بين القبائل ويندد بأحساب العرب وايامهم •

وقد بحث الاخ يحيى الجبوري هذه الطاقات الشعرية واعتمد على مصادر بحث أصيلة وخرج بنتائج علمية سليمة موفقة كل التوفيق محاولا أن يصلح الخطأ الذي سارت عليه بعض كتب الادب والتاريخ بأن الاسلام وقف في طريق الشعر ومنع ازدهاره وقد بذل جهدا أقدره عليه في دراسة طبيعة الشعر الاسلامي وما تسربت اليه من العناصر الجديدة في الاسلام وما أثر الضعف والانتحال فيه •

والواقع أن الاسلام لم يمنع الشعر كله كما أن الرسول الكريم لم ينه عن كل الشعر ولم يمنع الخلفاء كل الشعراء ، انما كان الشعر يوجه ويهذب ليلائم الطاقة الثورية الجديدة وليساير ركب الاسلام الجديد وليخدم المجتمع ويبث فيه آراء الدين الجديد والابتعاد عن الاساءة الى المسلمين ونهش أعراضهم • وقد بدأ الاستاذ يحيى بحثه عن الشعر قبل الاسلام وتحدث عن موقف الشعراء وأثرهم في الحياة العامة ، وتحدث عن الروايات التي وردت عن الشعر ثم فند تلك الروايات التي تهاجم الشعر كله بالمنطق الواضح والحجة البينة وتحدث عن الاسلام وموقفه من الشعر وموقف القرآن الكريم وأثر الرسول الى غير ذلك من الفصول الممتعة • والدراسة عميقة النظرة صادقة النتائج مشكورة التوجيه وأنا أعرفه كاتبا صادق اللهجة ، جريء العبارة مخلصا لفكرته وفيا لآرائه سدد الله خطاه •

بغداد　　　　　　　　　　　　　　　　يوسف عزالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

كاد الاجماع ينعقد على أن الحياة الادبية ، في فترة النبوة قد أصابها الفتور والخمول والهزال ، وان الشعر بخاصة قد ضعف ووهن . ويعزو الدارسون المحدثون ـ بعد أن بات في ذهنهم أن ضعف الشعر حقيقة لم يجرؤ أحد أن يناقشها ـ ان سبب ذلك الخمول والخمود ، يرجع الى الاسلام ، الذي و قف بوجه الشعر وذم الشعراء ، وأول ما يتبادر الى الذهن الآية الكريمة : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون .. » ويقفون عند هذا القسم من الآية الكريمة ، من دون أن يبالوا باستثناء الصالحين ، الذين ذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا .

ولكن النظرة الفاحصة المحصة تكشف أن ذلك الاجماع كان على خطأ وضلال لم تسنده الدلائل . وقد هالني وأنا أمضي في دراسة هذه الفترة ، أن الحياة الادبية كانت من الازدهار بمكان ، وأن الاسلام كان بريئا مما ينسب اليه ، من وقوفه بوجه الشعر والشعراء ، بل كان الشعر سلاحا قويا من أسلحة الجهاد ، شهره الاسلام بوجه خصومه ، وان الشعراء كانوا في طليعة المجاهدين في سبيل الله ، بسيوفهم وأشعارهم . وقد كان الصرع بين معسكر المسلمين في المدينة ، ومعسكر المشركين في مكة ، ذا أثر في ازدهار الشعر وقيام فن المناقضات الحربية ، ثم فن الرثاء الذي تثيره الحرب ، بما يسقط في أتونها من صرعى ، ثم فن الحماسة الذي ينظمه كل من المنتصرين والخاسرين ، حيث يعدون العدة دائما لجولة جديدة ، يكون الشعر ممهدا لها ، ومثيرا لنارها ، وباكيا قتلاها ،

ومخلدا أحداثها ، ومعلنا مفاخر فرسانها من الأحياء والأموات •

وقد حاولت في هذه الفصول ، أن أبرز السمة العامة لموقف الاسلام من الشعر ، فظهر للبحث : أن الاسلام لم يكن ليهمل عنصر الزمن في نظرته الى الشعر ، بل التزم موقفه وفق ما تقتضيه مصلحة الدين والمسلمين ونستطيع أن ننظر الى موقف الاسلام من الشعر وفق مرحلتين : قبل الفتح ، وبعده ، فأما قبل الفتح ، حيث كان الصراع بين مكة والمدينة ، فقد دفع الاسلام الشعر في سبيل أهدافه ، فشجعه ، ووجهه ، وهذبه ، وسدد خطاه • فلما كان الفتح وانتهى الصراع بين المدينتين وبين المبدأين وقف الاسلام من الشعر الموقف الآخر ، فنهى فيه نزعته الهجائية ، أو العودة لذكر الشعر الذي قيل بالامس القريب ، فقد عفّى الاسلام على ما كان من الاحقاد الدامية ، بين مكة والمدينة • وقد اتبع الخلفاء الراشدون سياسة حازمة ـ وبخاصة عمر ـ تجاه الشعراء ، الذين يحاولون احياء الماضي الذي واراه الاسلام • أما الشعر الذي يسعى نحو الخير ، ويتمثل بفضائل الدين ، فقد استمر تشجيعه وتوجيهه •

وقد رأينا أن الشعر في هذه الفترة ، كان امتدادا لشعر الجاهلية • وقد عاش شعراء الفترة دهرا من ذلك العصر ، وفترة من الاسلام ، فلم يستطيعوا في ظل الاسلام أن يهجروا ما درجوا عليه من نهج واسلوب قديمين ، فكان شعرهم في هذا العصر جاهليا لبس لباس الاسلام ، وللعلاقة هذه عرجنا على الشعر قبيل الاسلام ، فبينا قيمته وأثره في نفوس الناس ، وقد بقيت تلك المكانة للشعر في نفوس العرب بعد الاسلام ، مع تغيير بسيط دعته النفسية الجديدة المؤمنة •

وقد حاولنا أن نلقي ضوءا على طبيعة الشعر في الفترة الاسلامية ، وما اعتراه من ضعف ، وضياع ، ووضع ، وانتحال • ثم تناولنا الموقف الديني من الشعر ،فوجدنا أن النظرة الاسلامية كانت مستمدة مما جاء في

القرآن الكريم حول الشعر والشعراء ، فالرسول الكريم ينهى عن الشعر الذي نهى عنه القرآن ، وأباح منه ما أباحه القرآن • وكان في أخبار الرسول وأحاديثه حول الشعر والشعراء ، الكثير من الاسس التي اعتمدها الخلفاء الراشدون بعده • وقد عرضنا لمواقف الخلفاء من الشعر باعتبارهم الممثلين الرسميين للسلطة الدينية والدنيوية ، فاستعرضنا الشعر في حياة كل خليفة من الخلفاء الراشدين الاربعة ، محاولين أن نكشف الاتجاه الاسلامي في أقوال وأعمال كل منهم ، وكان همنا منصبا على أن لا نحيد عن منهج العلم ومنطقه في كل ما تناولنا من أمور ، وقد يبدو بعضها مخالفا للمتعارف المألوف ، فاذا كان الصواب حليفنا ، فذلك قصدنا ، وان كان الخطأ قد رافقنا فسبحان الذي له العصمة وحده • وما نحن الا طلاب حقيقة وعلم ، نصيب مرة ونخطىء مرات • فالله نسأل أن يسدد خطانا ويهدينا سواء السبيل •

بغداد ــ كلية الشريعة

يحيى الجبوري

الشعر الجاهلي قبيل الإسلام
قيمته وأثره

الشعر العربي قديم موغل في القدم ، مر بأطوار وأزمان ، كان في عهد بداية وطفولة ، ثم ترعرع ونما حتى استوى قصيدا متينا ، على يد امرىء القيس وأضرابه . ولا بد أن يكون للشعر تاريخ طويل مجهول ، قطع فيه أشواطا من الصناعة والدربة ، حتى استقام واكتمل . وهذه طبيعة الاشياء .

والشعر عند العرب من الوفرة والغزارة بمكان ، والعرب من أكثر الامم شعرا ، لانه عندهم ، سجل العواطف ، والمآثر ، والمفاخر ، والسجايا . والشعر يكشف عن النفس العربية ويعكسها ، بكل ما فيها من بطولات وأمجاد ، وبأس وشدة ، وعصبية وتسرع ، وكرم ووفاء ، فهو ديوانهم . قال أبو هلال العسكري[(١)] : « ولا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها ، الا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب ، وخزانة حكمتها ، ومستنبط آدابها ، ومستودع علومها » . وكانوا يخلدون أيامهم وأعمالهم بتسجيلها في قصيدة ، فكان الشعر تاريخا لايامهم ومآتيهم . قال أبو عمرو الجاحظ[(٢)] : « قال الهيثم وابن الكلبي وأبو عبيدة : فكل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها ، وتحصين مناقبها ، على ضرب من الضروب ، وشكل من الاشكال ، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في

---

(١) الصناعتين ص ١٠٤ ط مصر سنة ١٣٢٠ هـ

(٢) كتاب الحيوان جـ ١ ص ٣٦

تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفي ، وكان ذلك هو ديوانها ... » . وقال ابن سلام[1] : « وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ، ومنتهى حكمهم ، به يأخذون ، واليه يصيرون .. قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه .. » . فالشعر عندهم من أبرز وأوضح المظاهر الادبية ، لانه كان بلورة وتمثيلا للروح العربية وتعبيرا عنها ، والصفحة الواضحة التي أفصحت عن الحياة الجاهلية ، بكل مظاهرها ، وبخاصة المظاهر الكبرى ، التي كانت موضع عنايتهم . ثم هو بعد ذلك ، العمدة التاريخية لتسجيل الاحداث وتصوير المواطن .

ومن عجائب هذا الفن ، أنه وجد قريبا من الكمال ، حائزا على أسباب الجمال والاتقان ، لفظا ومعنى وعروضا ، حتى أن الشعراء المولدين لم يستطيعوا أن يقدموا شيئا جديدا بارعا ، فلم يزيدوا على البحور الجاهلية شيئا ، ولم يتمكنوا من تغيير نهج القصيدة ، مهما بذلوا من محاولات ، أو يخرجوا على عمود الشعر ، دون أن يرافقهم الاسفاف والفساد . ولم يضيفوا لموضوعاته الا ما كان يحوم حول سقط المتاع ، ورذائل الاخلاق ، ويصدق هنا قول ابن رشيق القيرواني في المقارنة بين شعر الجاهليين ، وشعر الاسلاميين ، حيث يقول[2] : « انما مثل القدماء والمحدثين ، كمثل رجلين ، ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن ، والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن » .

هذا الشعر الخصب الزاهي الجزل المتين ، نزل من النفس العربية منزلا قويا ، فقد وجه النفوس وصاغ العقول وحبب الى الناس خصال

(١) طبقات الشعراء ص٢٢ والعمدة ص٩
(٢) العمدة ج ١ ص ٥٧

الخير ورغبهم في الفضائل والمكرمات ، كما كان لـه الاثـر المباشر في توجيههم الوجهة المعاكسة أيضا • ولتحبيبه لخصال وتنفيره من أخـرى جعل الاذهان ترتبط برغبات وأهواء موحدة مشتركة ، فللشعر النصيب الاوفى في توحيد العرب وتشابه طباعها وعاداتها ومثلها وعواطفها ، وحتى لغتها الشعرية واسلوبها ، وعلى الرغم مما كان يحدث بين القبائل مـن خصومات وأحقاد وغزوات ، فان ذهنية القبائل وعواطفها جميعا متجاوبة منسجمة ، وقد تنبه نيكلسون الى حقيقة ذلك فقال[١] : « وكانت قصائد الشعراء وهي لم تدون بقلم[٢] تطير عابرة الصحراء أسرع من الرياح ، وتحدث أثرها العظيم في قلوب من يسمعونها ، وفي خضم النضال والتفكك كان الشعر يضفي حياة ونشاطا على مثل عالية ، قائمة على المروءة العربية ، وصارت هذه المثل العالية رباطا بين القبائل ـ عن قصد أو غير قصد ـ وحدة أهلية قائمة على أساس عاطفي » • ونيكلسون هنا ينظر الى المثل العربي (أسْيَرُ من شعر) وقد ذكر الميدان[٣] في تخرج هـذا المثل وتعليله قوله : لانه يرد الاندية ، ويلج الاخبية ، سائرا في البلاد ، مسافرا بغير زاد :

يَـردُ المياه فلا يزال مداولٍا
في القوم بين تمثُّل وسَماع

أما الشاعر فكانت له المنزلة الفضلى في القبيلة ، لانه لسانها ، الذاب عنها ، والمعبر عن فضائلها ، المتغني بأمجادها ، المخلد لمفاخرها وانتصارها ، ولذلك فاذا نبغ في القبيلة شاعر تباشرت القبيلة ، وصنعت الولائم ، وأقامت

---

(١) تاريخ الادب العربي ص٦٢

(٢) لا يصح هذا فكثير من القصائد كانت تكتب ويكفي أن نذكر تحكيك زهير والحطيئة لندرك أن الكتابة قديمة وشائعة •

(٣) مجمع الامثال جـ ١ ص٣٥٤

الافراح • يقول صاحب العمدة[1] : « وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج » • فالشاعر عزيز على قومه ، وقلما نجد شاعرا مهانا يتصعلك ، أو يتخذ الشعر حرفة ووسيلة يريق بها ماء الوجه ـ كما كان من أمر الحطيئة ـ بل كان يرى أنه صوت القبيلة ، سيفها ولسانها ، وكانت شخصيته تذوب وتفنى في القبيلة ، حتى لا نجد للشاعر ـ عند الفخر خاصة ـ في شعره شخصية بارزة واضحة ، ونستطيع أن نتلمس ذلك في شعر لبيد العامري وفي معلقة عمرو بن كلثوم وغيرهما • وتحفل أخبار الشعراء بما كان لهم من فضل في اعزاز قبائلهم ، ورفع مكانتها وحماية أعراضها •

أما أثر الشعر في الناس فكبير ، ورب بيت شعر رفع وضيعا ، أو وضع رفيعا • ويصدق هنا قول الحصري القيرواني في أثر الشعر ومكانته[2] : « وقد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة وهدم لآخرين أبنية منيعة » :

وما هو الا القول يسرى فتغتدى
له غرر في أوجه ومواسم

وقد يسعر الشعر حربا أو يحسم معضلة ، فالشعر يهز النفوس ويطربها ، ويبعث فيها الشجى والشجن ، فيدفعها الى طريق الخير أو الشر المحبة أو الكراهية ، يسمو بالنفوس ، أو يدفعها نحو الصغار ولله أبو تمام حبيب بن أوس الطائي حين يقول مصورا ذلك :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بغاة العلا من أي تؤتى المكارم

وقد أدرك أبو تمام ما للشعر من سلطان على النفوس ، فقال يصف

(١) العمدة جـ ١ ص ٣٧
(٢) زهر الآداب جـ ١ ص ٢٧ ط ٣ زكي مبارك •

ذلك وينزل الشعر من نفوس الناس منازله(١)

ان القوافي والمساعي لـــم تزل
مثل النظـام اذا أصــاب فريدا

هي جوهر نثـر فان ألـَّفْتَـهُ
في الشعر كان قلائدا وعقـودا

من أجـل ذلـــك كانت العرب الألى
يدعون هــذا سـؤددا محدودا

وتنِدُّ عنـدهم العُـــلا الا اذا
جُعِلت لهـــا مِرَرُ القصيد قيودا

وكذلك قال ابن الرومي في هذا المعنى :

أرى الشعر يُحيي الناس والمجد بالذي
تُبَقيه أرواحٌ لـــه عطِـــرات

وما المجد لــولا الشعر الا معـــاهدٌ
ومـا الناس الا أعظـــمٌ نخِـرات

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : سمعت أبا عمرو بن العلاء ، ورجل يقول : (انما الشعر كالميسَم) فقال : (وكيف يكون ذلك ؟ والميسم يذهب بذهاب الجلد ويدرس مع طول العهد ، والشعر يبقى على الابناء بعد الآباء ، ما بقيت الارض والسماء)(٢) . فأبو عمرو بن العلاء يرى الاثر البعيد الذي يتركه الشعر في الناس بحيث يورثه الآباء أبناءهم فهو ميسم لا يزول بزوال الزمان .

(١) زهر الآداب جـ ١ ص ٢٨
(٢) المصدر السابق

ولا بد لبيان ذلك من الشاهد والمثل : فمن ذلك أن الحارث بن حلزة أنشد عمرو بن هند قصيدته المعروفة :

آذنتنــــا بينهـــــا أســـماء

رب ثاوٍ يُمَلُّ منه الثِواءُ

ويقال[1] انه ارتجلها بين يديه ، في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح ، وكان ينشده من وراء سبعة ستور ، فأمر برفع الستور عنه استحسانا لها ، ثم أدناه وقربه •

وكانت مدحة الاعشى للمحلق تنوبها به وتمجيدا له ، بعد أن كان خاملا فقير الحال قالوا[2] : ان الاعشى قدم مكة ، وتسامع به الناس ، فأشارت امرأة المحلق على زوجها أن يسبق الناس الى ضيافته واكرامه ، عسى أن يقول فيهم شيئا • فنحر المحلق للاعشى وسقاه ، وبالغ في اكرامه ومن معه ، وقد عرف الاعشى من بؤس المحلق وسوء حاله وكثرة عياله وبناته ، فقال الاعشى : كفيت أمرهن ـ أي البنات ـ وأصبح الاعشى بعكاظ ينشد قصيدته :

أرقتُ وما هـــذا السهاد المؤرق

وما بـي من سقم وما بـي معشـــق

ورأى المحلق اجتماع الناس ، فوقف يسمع وهو لا يدري أين يريد الاعشى بقوله ، الى ان سمع :

نفى الـذم عن آل المحلق جفنـــة

كجابيـة السـيح العــراقي تفهقُ

(١) الشعر والشعراء ص٣ والعمدة ج ١ ص٢١
(٢) الاغاني جـ٨ ص ٧٧ ط ساسي والعمدة ج ١ ص ٤٩

ترى القوم فيها شارعين وبينهم
مع القوم ولدان من النسل دَردقُ

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوءِ نار باليفاعِ تحرّقُ

تُشب لمقرورينِ يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلقُ

رضيعي لبان ثدي أمّ تحالفا
باسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّقُ[1]

ترى الجودَ يجرى ظاهرا فوق وجهه
كما زانَ متنَ الهندوانيِّ رونَقُ

فما اتم القصيدة الا والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه ، والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته ، فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف . فالناس ينظرون الى المحلق وقد تمثلت فيه الفضائل والمكرمات .

وكان من تأثير الشعر ان يستل من قلوب الناس الضغائن والاحقاد ، فيعفو القادر على العقوبة ، كما كان من أمر الحارث ابن أبي شمر الغساني ، لما قتل المنذر الاكبر (ابن ماء السماء) في يوم اباغ ، اسر جماعة من اصحابه وفيهم شأس بن عبدة في تسعين رجلا من تميم ، فقصده علقمة بن عبدة ومدحه بقصيدته التي مطلعها[2] :

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ
بُعيدَ الشباب عصرَ حان مشيبُ

(١) اسحم داج ـ رماد النار أو الدم وكلاهما كان مما يقسم عليه
(٢) العمدة ج ١ ص ٥٧

فلا تحرمني نائلا عن جناية
فاني امروء وسط القباب غريب
وفي كل حي قد خبطت بنعمة
فحق لشأس من نداك ذنوب [1]

فقال الحارث : نعم واذنبة ـ وأطلق شأسا واسرى بنى تميم ، ومن سأل فيه الشاعر او عرفه من غير بنى تميم .

وكان اولاد جعفر بن قريع بن كعب الذين عرفوا ببني (انف الناقة) [2] يتضاءلون خزيا من هذا اللقب ، ويعيرون به ، حتى اذا مدحهم الحطيئة جرول بن اوس بقوله :

قوم هم الانف والاذناب غيرهم
ومن يسوّى بأنف الناقة الذنبا

فصار اسمهم شرفا لهم ، وصاروا يتطاولون ويزهون على الناس بهذا الاسم بعد ان كان سبب استحياء وانكساف .

واذا كانت هذه الشواهد في اثر الشعر في فعل الخير ، فأثره في فعل الشر اشد وابلغ ، فلرب قافية اثارت معركة يتوارثها الابناء عن آبائهم . وكان من اثر الشعر ان طرد النعمان صاحبه ونديمه ، فقد حدث ان افترى

---

(١) ذنوب ـ حصة أو نصيب

(٢) جاء في الاغاني ٢/١٨١ ط دار الكتب : (وانما سمى جعفر أنف الناقة ، لان أباه قريعا نحر ناقة فقسمها بين نسائه ، فبعثت جعفرا هذا أمه ـ وهي الشموس من وائل ـ فاتى أباه ولم يبق من الناقة الا راسها وعنقها فقال شأنك بهذا ، فادخل يده في أنفها وجر ما أعطاه ، فسمي أنف الناقة . وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة ، فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا) .

لبيد بن ربيعة العامري على الربيع بن زياد عند النعمان بن المنذر [1] ، حيث كان العبسيون والعامريون يتنافسون على الحظوة عند النعمان ، الا ان العبسيين استأثروا بها لمنادمة الربيع بن زياد النعمان ، فكان يهون من شأن بني عامر ، فهجاه لبيد هجاء مقذعا نفّر النعمان منه ، فقد قال لبيد من ابيات :

مهلاً ابيتَ اللعنَ لا تأكلْ معَهْ
ان استَهُ من بَرَصٍ ملمّعَهْ
وانه يُدخل فيها اصبعَهْ
يدخلُها حتى يوارى اشجَعَهْ
كأنه يطلبُ شيئا اوعَهْ

فسخط النعمان ونفر من الربيع وامره بالانصراف الى اهله ، وفي كتب الادب كثير من هذا الضرب ، الذي عرف وشاع . من ذلك ما كان من أمر بنى العجلان الذين يباهون بلقب جدهم ، وهو عبدالله بن كعب العجلان ، سُمى كذلك لتعجيله القِرَى للاضياف ، وظل هذا اللقب مصدر فخر وزهو لهم ، حتى اذا هجاهم قيس بن عمرو النجاشي ، ونقل العجلان من مجال المدح الى الذم ، وفسّر التعجيل بتوجيه جديد ، وذلك في قوله :

اولئك اخوالُ اللعينِ وأُسرةُ الـ
هجينِ ورهطُ الواهنِ المتذلل

وما سُمى العجلانُ الا لقولهم
خذالقعبَ واحلبأيُّها العبدُ واعجلِ

صار هذا اللقب سوءة وسُبة ، وكان أحدهم اذا سئل ممن هو ، أجاب : كعبي ، اى من بنى كعب ، متجاوزا عن العجلان .

(١) أمالي المرتضى ١/١٣٧ ط السعادة .

وكذلك كان حال بني عبد المُدان ، الذين بارك الله لهم بسعة الصدور وطول الاجسام وغلظها ، فكانوا يفخرون بذلك على غيرهم ، حتى كسفهم حسان بشعره حين قال :

لابأسَ بالقومِ من طُولٍ ومن عظمٍ
جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ

فجاءوا اليه يسترضونه ، وقالوا له : يا ابن الفريعة : كنا نفتخر على الناس بالعظم والطول فأفسدته علينا ، ثم قال لهم : سأصلح منكم ما افسدت، فقال فيهم :

وقد كُنا نقول اذا رأينا
لِذي جسمٍ يُعدُّ وذى بيانٍ
كَأنك أيُّها المُعْطى بيانا
وجسما من بني عبدِ المدانِ

فعادوا الى الافتخار بذلك[1] .

وكان بنو نمير يفخرون بقبيلتهم ، ويدلون على النِاس بنسبهم ، حتى اذا وصمهم جرير بقوله :

فغض الطرفَ انك من نميرٍ
فلا كَعبا بلغتَ ولا كِلابا

لم يبق ، نميري الا ويطأطيء رأسه خزيا وهربا من هذا النسب ، وكان احدهم اذا سئل ، ممن انت ؟ أجاب : من بني عامر بن صعصعة . وقد سُميت قصيدة جرير هذه (الفاضحة) .

والامثلة اكثر من ان تحصر في تأثير الشعر في فعل الخير والشر

---

(١) انظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢١٤ ط البرقوقي .

على السواء ، فالشعر عند العربي ليس ضربا من الترف ، او ملهـاة يزجي بها وقته ، او فنا تتعاطاه القلة من الناس • بل كان التعبير الادبي الوحيد ، الذي يجد فيه متنفسا لعواطفه ، وتمثيـلا لمثله وسجاياه ، وتخليدا لآثاره واعمـاله •

والعرب امة شاعرة ، انتشرت الشاعـرية بينهم وغلبت عليهـم • ولشاعرية العرب عوامل كثيرة ، منها : البيئة الطبيعيـة حيث الجمـال والانفساح وصفاء الشمس • والبادية المليئة بالضوء والنور ، وللنور اثـر كبير في تفتيق الاذهان وصفاء النفوس • يذكر جوستاف لوبون أثر ذلك فيقول [1] : « وفي البلاد المنيرة الكثيرة الضوء ، يتفتق الذهـن ويستيقظ التصور ، ويخف العمل • وفي البلاد المظلمة يخيم الاسى على القلـوب ، ولا يجيء الشعراء فيها الا باحلام مضطربة متكلفة » • ثم ان العربي ذكي، سريع البديهة ، مرهف الحس ، جياش العاطفة ، يؤثره الجمال ويخلبه الحسن ، وليس له من فن جميل يودع فيه احلامه وامنياته ، ويتسلى به في وحدته ، ويكشف عن مكنون صدره ، ويجلي عبقريته ، الا الشعر ، فهو حداء الركب ، واهزوجة المنتصر ، وانشودة العاشق ، وسلوى المهمـوم والمحروم ، فلا عجب ان كان الشعر بعد ذلك ، موضع اهتمام الكافـة من العـرب •

وقد كان من اسباب تلك الشاعرية : اللغة العربية ، فانها لغة شعرية غنائية حافلة بمفرداتها ، غنية بالفاظها ، تسعف القائل وتواتيه بالقافيـة ، وهي فوق ذلك دقيقة في دلالاتها ، ثرية باساليبها ومجازها ، في كلماتهـا رنين وجرس ، يلائم الشعر ويوائم الموسيقى •

ولشاعرية العرب واحتفالهم بالشعر ، كان ان خلف الشعراء في كل عصر شعرا وفيرا غنيا ، لا يحصى عدُّه ، والشعر الجاهلي وحده يعجـز

(١) مقدمة الحضارات الاولى ص٩١ الترجمة العربية •

الرواة عن حصره ، غير الذي ضاع وعفى عليه الزمان . وان الذي بقى منه يمثل فترة قصيرة حددها القدماء بقرنين سبقا الاسلام .

ومع كل ذلك فهو يعد اكثر من شعر اية امة من الامم القديمة ، فاليونان لهم « الالياذة » و « الاوذيسا » ولا يزيد عدد ابياتهما على الثلاثين الفا [١] . اما الهنود فعندهم « المهابارته » وهي لا تعدو العشرين الفا ، و « الرامايانه » لا تزيد على ثمانية واربعين الفا . اما العرب فالشعر عندهم يعد بالقصائد لا الابيات ، والذي حفظه الرواة من شعرهم في الجاهلية وجدها يربى اضعافا على ما ذكر للامم الاخرى .

واخبار الرواة تثير الدهشة والاعجاب لكثرة ما حفظوا ، يذكر ابو الفرج [٢] : ان حماد الراوية كان يحفظ سبعة وعشرين او ثمانية وعشرين الف قصيدة . وذكر ان الوليد بن يزيد الاموي سأله يوما : بم استحققت هذا الاسم فقيل لك الراوية ؟ فقال : بانه ينشد لكل شاعر يعرفه او لا يعرفه ، وسأله عن مقدار حفظه من الشعر ، فقال كثير « ولكني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » . قال : سأمتحنك في هذا ، ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر الوليد ، فوكل به من يسمع منه ويستوفى عليه ، فانشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد ، فأمر له بمائة الف درهم . ويكفي ان يحفظ ابو تمام الطائي من اشعار الجاهليين اربع عشرة الف ارجوزة ، غير القصائد والمقطعات [٣] . وروى ان الاصمعي كان يحفظ ست عشرة الف ارجوزة [٤] ، وانه قال : ما بلغت

---

(١) جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الاسلامي جـ٣ ص ٢٤
(٢) الاغاني جـ٥ ص ١٦٥ ط ساسى ووفيات الاعيان جـ١ ص١٦٤
(٣) الوفيات جـ١ ص ١٢١
(٤) الوفيات جـ١ ص ٢٨٨

الحلم حتى رويت اثنتى عشرة الف ارجوزة للاعراب[1] •

ومع اننا نحتاط من مبالغة الرواة في محفوظاتهم ، الا اننا لا نستطيع ان ننكر وفرة وغزارة ما يحفظون ، وان هذه الكثرة الكاثرة من الشعر تدل على شاعرية فذة ، وعلى كثرة القائلين لهذا الشعر ، على الرغم من ان الذي ضاع بين الرمال اكثر مما حفظ • وفي هذا يقول ابو عمرو بن العلاء [2] : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » •

وكان طبيعيا ان يكثر الشعراء ، ويكاد ان يكون لكل قبيلة شاعر او مجموعة من الشعراء ، يختلف حظهم من الشهرة والخمول • بل كثيرا ما نسمع باسر شاعرة ، كأسرة زهير ، واسرة حسان ، وغيرهما • وقد لمس الكتاب القدامى هذه الظاهرة ، فقال ابن قتيبة [3] : « والشعراء المعروفون بالشعر في قبائلهم وعشائرهم في الجاهلية والاسلام ، اكثر من ان يحيط بهم محيط ، او يقف من وراء عددهم واقف ، ولو انفذ عمره في التنقير عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ، ولا احسب احدا من علمائنا استغرق شعر قبيلة حتى لم يفته شاعر الا عرفه ولا قصيدة الا رواها » •

على اننا حين نسجل للشعر الجاهلي هذه القيمة الفنية ، والبراعة والاتقان ، والكثرة والنضوج ، لا يفوتنا ان نذكر : ان في الشعر الجاهلي شعر ليس منه • وانما هو صناعة زائفة ، وبضاعة ازجاها بعض الرواة المتأخرين او المتقدمين ، وكانت لهم مآرب في ذلك التزييف ، فحشوا بعض الدواوين بالفاسد الموضوع ، وذلك الشعر الزائف المحمول يكاد لا يخفى على المجربين المتذوقين المحصين الذين يقلبون الطرف ـ اذا صحت النوايا ـ

---

(١) العقد الفريد جـ٣ ص ١٠٧
(٢) الخصائص ـ ابن جنى جـ١ ص ٣٩٢ ط الدار
(٣) الشعر والشعراء ص ٦

في اجوائه وخصائصه • وقد نبه على ذلك نقاد العرب المتقدمون ، وعلماء الشعر ، واشاروا الى الفاسد منه ، كما فعل ابن سلام الجمحي ، وابن هشام صاحب السيرة ، فعلى الدارس ان يحذر من احكام المحدثين الفاسدة المرتجلة حول الشعر الجاهلي ، وتسرعهم في تعميم الاحكام ، والتشكيك في صحيحه وفاسده ، حقه وباطله ، وذلك التشكيك الذي دافعه الهوى من شأنه ان يفرط بثروة كبرى من صحيح الشعر ، وهو في كل احواله مظهر ضخم شامخ من مظاهر العقلية العربية ، وارث ثمين من تراث هذه الامة ، فعلينا الا ندفع وراء الحماس الطائش ، والزعم المفضي الى الهدم والتخريب •

الشعر في عصر النبوة

ضعف الشعر :

لقد نظر الدارسون في تاريخ الشعر العربي ، الى شعر الفترة الاسلامية ـ عصر الرسول والراشدين ـ فوجدوه قد ضعف وهبط مستواه عما كان عليه في العهد الجاهلي ، ولذلك لم يعن الباحثون بأمر هذه الفترة ، ولم تقم حتى الآن دراسة علمية تستحق التقييم ، اللهم الا ما كان من الجهد الضئيل الذي يبذل عرضا ، ومن الاحكام المتناقلة المتوارثة التي يرددها لاحق عن سابق ، والناظر في تاريخ الشعر العربي يجد انه يبلغ الذورة في متانته ، وجودة سبكه ، وقوة تعبيره ، وبعد متناوله ، حدا ينتزع الاعجاب . الا انه في الفترة التي تسبق الاسلام بقليل يهبط مستواه ، ويعترى نهجه واسلوبه الضعف والوهن . وقد ذهب الباحثون في تعليل ذلك مذاهب شتى وقد يغلو بعضهم في تقدير ذلك الضعف ، ونعرض هنا آراء الكاتبين لنتبين طبيعة تفكيرهم ونظرتهم لهذه الفترة ، ثم نقول الرأى الذي نرتأيه بعد ذلك ، فمنهم من يرى ان الشعر أخذ في العهد السابق للاسلام مباشرة يتجه الى نحو من التفكير جارٍ حول العقائد والدين ، « والشعر انما يذهب هذا المذهب في طور شيخوخته ، فارخصه ذلك وحطه عن مستواه القديم »[1] الا ان هذا التعليل بعيد عن واقع الشعر ، فقد كان زهير في فترة سبقت الاسلام ـ ذهب هذا المذهب فلم ينحط شعره ، وكذلك فعل لبيد ، وشعره من القوة بمكان . واننا نذهب الى أن ضعف الشعر بعامة يرجع لاسباب خارجة عن امر الدين الجاهلي ،

---

(١) نجيب البهبيتي ـ تاريخ الشعر العربي ص ١١٤ ط دار الكتب

فالشعر بقي في اكثر احواله بعيدا عن امور الدين ، ولكنا نسوق هنا الرواية الآتية ، ففيها ما يدل على ركود الفترة ـ ولو نسبيا ـ وخلوها من الفحول الذين يشغلون الحياة الفنية ، والرواية تذكر : أن الحطيئة كان قد طلب من كعب بن زهير ، أن يقول شعرا يذكر فيه نفسه ويثني فيذكر الحطيئة ، لأن الناس ـ كما يقول الحطيئة ـ : « اروى لاشعار هذا البيت » ـ بيت زهير ـ فقال كعب : (١)

فمن للقوافي شانَها من يحوكُها
اذا ما ثوى كعبٌ وفوز جرولُ

يقول فلا يَعيى بشيءٍ يقوله
ومن قائليها من يُسيء ويعملُ

كفيتُك لا تلقى من الناس واحدا
تنخّلَ منها مثل ما يتنخّلُ

يُثقفها حتى تلينَ متونُها
فيقصر عنها كلُّ ما يتمثّلُ

لعل في هذه الرواية بعض الدلالة على ان الفترة كانت خالية من الفحول المجودين ، الذين يملأون الحياةالادبية ، كما ملأها امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة قبلهم ، بحيث ان كعبا ليأسف ، فمن للشعر اذا مضى ولحق به الحطيئة ؟ وان كان من تمام الرواية ان نذكر : أن مزردا اخا الشماخ ، عرض بكعب ـ وكان عريضا ـ فلامه وقرّعه وهون من شأنه وشأن الحطيئة ، وذكر جماعة من الشعراء فضلهم عليهما ، قال مزرّد : (٢)

(١) طبقات الشعراء ص ٨٧ــ٨٨ والشعر والشعراء ص ٦٣ والاغاني جـ ١٥ ص ١٤٠

(٢) المصادر السابقة

وباستك اذ خلّفتني خلف شــاعرٍ
من الناس لم أكِفىء ولـم اتنخـلِ
فان تجشـبا اجشبْ وان تتنخـــلا
ـ وان كنتُ أفتى منكما ـ اتنخـلُ
ولست كحسّانِ الُحسام بنِ ثابت
ولستَ كشـماخٍ ولا كالمُخبّــل
وانت امرؤٌ من أهـلِ قُدْسِأوارةٍ
احلتّتْكَ عبدُ الله اكنافَ مُبْهلِ

ذلك كان امر الشعر قبيل الاسلام ، اما في الاسلام ، فقد حـافظ الشعر على مكانته السابقة ، فلم يستطع ان يطاول شعر الجاهلية ، ولـم يستطع الشعر ان يجاري حركة الدين الكبرى ، التي جاءت لتغير ملامـح المجتمع وتبطل كثيرا مما تعارف عليه القوم الا بقدر ، وعلى الرغم مـن ان الاسلام احدث هزة قوية في نفوس الناس ، وغير من مثلهم ونظمهـم وعقائدهم ، فان الشعر ظل يجتر ذكريات الجاهلية ، وينهج نهج الاولين. وقد التمس الباحثون اسبابا وعللا لهذه الظاهرة ، وتخيل بعضهم مفترضات واوهاما ، فمن قولهم (١) : ان المسلمين انشغلوا بأمر الدين الجـديد ، وانصرفوا اليه ، واتكأوا في ذلك على قول عمر بن الخطاب رضى اللـه عنه (٢) : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منـه » . ويعقب ابن سلام : « فجاء الاسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهـاد

(١) انظر في ذلك ما ذهب اليه كل من الحاجري في تاريخ النقـد والبهبيتى في تاريخ الشعر والبصير في عصر القرآن والكفراوي في الجمود والتطور وكتب تاريخ الادب الاخرى .
(٢) طبقات الشعراء ص ٢٢

وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايتـــه » .[1] ويقـول ابن خلدون في مقدمته [2] : « ثم انصرف العرب عن ذلك [اي عن الشعر] اول الاسلام ، بما شغلهم من امور الدين والنبوة والوحي ، وما ادهشـهم من اسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخــوض في النظم والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك واونس الرشد في الملّة ، ولم ينـزل الوحي في تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلـم ، وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه » . وابن خلدون ينص عـلى ان الشعراء اخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن النظم والنثر زمانا ، فهو لم يكتف بالضعف بل ذهب الى الانصراف عن الشعر كليا اول الامـر ، وفي هذا كثير من مجانفة الصواب . وكذلك يزعم جرجي زيدان ، آخـذا عن ابن خلدون ، ومستندا الى ابن سلام فيذكر [3] : ان الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح .

ويرجع بعضهم سبب الضعف الى ان القرآن الكريم قد هاجـم الشعراء ، وغض من مكانتهم ، فوصفهم بالغواية في قوله تعالى : « والشعراءُ يتبعهم الغاوون ألم تَـرَ أنهم في كلِّ وادٍ يهيمون وأنَّهم يقولونَ ما لا يفعلون .. الايات » . والقرآن قد ترفع ان يكون شعرا ، ودفع ظـن المشركين في ذلك . وربط الباحثون بين موقف القرآن ، وبين اعـراض بعض الشعراء عن الاستمرار في قول الشعر ، فقالوا ان شاعرا كبيرا مثـل لبيد هجر الشعر ، ولاذ بالصمت ـ اذا صحت الرواية ـ وشغل القـرآن الشعراء . وسكتوا عن قريضهم ليستمعوا الى كلمة الله . ومما يذكرون هنا أن الاسلام حرّم اكثر الاعمال التي يجود فيها الشعـر ، وتنشـط

---

(١) لقد خلط اكثر الذين نقلوا هذا النص بين قول عمر وقول ابن سـلام .

(٢) المقـدمة ص ٥٨١

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية جـ١ ص ٢٢٢ ط الهلال ١٩٥٧

القرائح كذكر الخمر ، ومغازلة المرأة . واثارة الضغائن والاحقاد والثأر .. وقد تغيرت الحياة العامة ومثلها ، وتغيرت تبعا لذلك الدوافع التي بها ينشط الشعر ، ويتشجع الشعراء ، فالاكرام والتشجيع الذي كان يلقاه الشعراء من الملوك وإصحاب الثراء والسلطان ، قد حلّ محله زجر عمر عن المديح الكاذب ، والقول الذي يثير الحفائظ ، ويمس اعراض الناس

وقد لوحظ ذلك في شعر حسان بن ثابت بخاصة ، الذي قطع متنه في الاسلام كما يقولون ، لأنه ترك باب الشر ودخل في باب الخير فلان شعره ، قالوا : قيل لحسان يوما [١] : « لان شعرك ـ او هرم شعرك ـ في الاسلام يا ابا الحسام ، فقال : يا ابن اخي : ان الاسلام يحجز عن الكذب ، وانالشعر يزينه الكذب » . قال الراوية النمري : يعني أن شأن التجويد في الشعر ، الافراط في الوصف والتزيين بغير الحق ، وذلك كله كذب . وكذلك قال الاصمعي الراوية[٢] : « ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام ، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لان شعره ، وطريق الشعر هي طريق الفحول ، مثل امرىء القيس وزهير والنابغة ، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والافتخار ، فان ادخلته في باب الخير لان » . ويقول ايضا [٣] : « شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر ، فقطع متنه في الاسلام » . ومما يقرب من رأى الاصمعي ويشاكله ، رأى ابي منصور الثعالبي ، فعنده أن الشيطان اصلح للشاعر من الملك ، واتخذ لذلك حسانا شاهدا ، فقال : [٤] « من عجائب امر حسان ، أنه كان رضي الله عنه يقول الشعر

---

(١) الاستيعاب جـ١ ص ٣٤٦
(٢) الموشح ـ للمرزباني ٦٤ـ٦٥
(٣) الشعر والشعراء ص ١٧٠ ط لندن
(٤) خاص الخاص ص ٨٠ ط مصر ١٣٢٦هـ

في الجاهلية فيجيد جدا ، ويغير في نواصي الفحول ، ويدعي أن له شيطانا يقول الشعر على لسانه ، كعادة الشعراء في ذلك .. فلما ادرك الاسلام ، وتبدل الشيطان الملك ، تراجع شعره وكاد يرك قوله ، ليعلم ان الشيطان اصلح للشاعر ، واليق به ، واذهب في طريقه ، من الملك » .

ومن الاسباب التي تذكر ايضا في ضعف الشعر : أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصطنع الشعراء لنفسه ، ولكنه وجههم لبث الدعوة وتثبيت قواعد الدين ، فالناحية المادية والدنيوية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ليس لها هنا كبير اثر ، والناحية الروحية في الاسلام لم تزل اذ ذاك في مستهلها ، ولم تكن قد نفذت بعد الى قلوب المسلمين ، في شكل قوى ملهم يفجر ينابيع الفن الرفيع[١] .

تلك هي اهم الاسباب التي يقدمها الآخذون بنظرية ضعف الشعر ، ومن الواضح البدهي ان الشعر في هذا العصر ـ عصر النبوة ـ اذا قسته بشعر الفحول الجاهليين ، او قسته بشعر الفحول الامويين ، تجده دونهما قوة ومتانة ، فقد ضعف كما وكيفا ، ولكن ليس معنى هذا ان هذه الفترة ، كانت من الضعف والهزال كما يصفها الواصفون ، فتكون عند زعمهم فجوة منقطعة ، ملأها الصمت والخمول ، بل ان الشعر كان فيها زاهيا قويا ، كثير الفنون ، واسع الاغراض ، دفعه الاسلام في دعوته ، ووجهه في اغراضه ، وادخله في اتون المعركة الاسلامية ، بين مكة والمدينة . وشارك في شؤون الحياة الاسلامية كافة ، فصورها ووصفها ومثلها على قدر ما اتيح له ، وبالشكل الذي يطيقه ، وان لم يبلغ الكمال المنشود والنضوج الذي بلغه في عهد تال ، هو عهد بني امية . فالفترة كانت فترة ثورة وانتقال ، والشعر ـ والفنون الاخرى ـ تخمله الثورات عادة وتدهشه فلا يستطيع تمثيلها الا بعد فترة تقصر او تطول ، وتلك سنة الحياة .

(١) خلف الله ـ دراسات في الادب الاسلامي ص ٤٧

فالشعر يمهد للثورات او يصفها بعد ان تستقر وتهدأ ، اما في غمرتها وفورتها فيرتج على قائليه ، ومع ذلك فقد ظهر الشعر الاسلامي الذي استطاع تصوير الدعوة ، وتمثيل الفترة ، والتعبير عن اماني المسلمين من جانب ، وأماني المشركين من جانب آخر •

ان وضع الشعر في زاوية منسية من هذه الفترة ، فيه ما فيه من التجاوز ، فللشعر دور كبير في الدعوة ، وللشعراء اثر في الدين الجديد ، سواء من ناصره وبشر به ، او من ناقضه وانتقص منه • لقد كان موقف الاسلام من الشعر ايجابيا ، فقد وجهه وشجعه حين كان التشجيع في صالح الامة ، وقد غض منه وردع فيه غلوه حين انهى دوره في معركة الاسلام •

لقد اصطنع الدين الشعر سلاحا ماضيا من اسلحة الدعوة ، وكان لابد ان يدفع به في المعركة ، فالخصومة بين النبي واصحابه من ناحية ، وبين قريش ومن والى قريشا من ناحية اخرى ، كانت عنيفة شديدة ، لم تقتصر على السيف والسنان ، بل امتدت الى الشعر والبيان ، والمناقضات والجدل بين شعراء المدينة المسلمين ، وشعراء مكة وغير مكة من الذين خاصموا المسلمين والبوا العرب عليهم • واذا كانت قد اندثرت دواع ودوافع في ظل الاسلام ، فقد نشطت وزهت دوافع ودواع غيرها ، وان كثيرا من موروثات الفن الجاهلي ، قد بقيت في العهد الجديد ، على الرغم من نهى الاسلام عنها ، فشعر البادية قد بقي في كثرته جاهليا ، وشعر الاهاجى والمناقضات بين الاوس والخزرج ، وبين القبائل في الجاهلية ، قد تحول في ظل الاسلام الى مناقضات بين المسلمين والمشركين • واذا كان قد خمل شعر وسكت شعراء ، فان شعرا آخر وشعراء آخرين قد برزوا لميدان الشعر ، بعد ان كانوا مغمورين خاملين ، مثل شعراء مكة •

ان القول بضعف الشعر وانصراف الناس عنه بالشكل الذي يزعمه الكاتبون ، ويصوره الدارسون ، في هذه الفترة ، بعيد عن واقع الحال •

وان في قول ابن سلام حين عقب على قول عمر بن الخطاب ، من ان العرب عند مجيء الاسلام تشاغلت عن الشعر : « وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته . فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر » ان في قوله هذا كثيرا من التجاوز ، فان الشعر لم ينقطع وان العرب لم تلهُ عن الشعر ـ الا بمقدار ـ فقد استمر الشعر ، واستمرت روايته في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وخلفائه الراشدين. فالاسلام كحدث هائل ضخم ، هز النفوس وشغل العقول ، فقيل في ذلك شعر . وكمعركة كان الشعر من اسلحتها ، وقد يكون اثر الشعر في الحرب امضى من اثر السيف ، وقد حدث ان اسلمت دوس خوفا من ابيات قالهن كعب بن مالك(١) . فكل تلك الاسباب ابقت للشعر سلطانه ، ووصلت ماضيه بحاضره ، وزادته قوة تلك الفترة التي كان الصراع فيها عنيفا داميا بين مبادىء الاسلام ، وطواغيت الكفر .

ضياع الشعر :

ولابد هنا من الاشارة الى اهمية هذه الفترة ، وحذر الباحث من كل شعر يروى ، فالفترة مليئة بالاحداث الهامة الضخمة ، وفي غمرة

---

(١) الاستيعاب ٣/١٣٢٤ والسيرة ق٢ ص ٤٧٩-٤٨٠ وذلك في قصيدة كعب التي قالها بعد الفراغ من غزوة حنين والمسير الى الطائف فقد ذكر ابن سيرين قال : « فبلغني أن دوسا انما اسلمت فرقا من قول كعب :

قضينا من تهامة كل ريب
وخيبر ثم اجممنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا او ثقيفا

فقالت دوس : انطلقوا فخذوا لانفسكم ، لا ينزل بكم ما نزل بثقيف»

الاحداث الكبرى يتعرض الشعر وكل الظواهر الادبية الى النحل والتزيد كما يتعرض الى الطمس والضياع • واذا استعرضنا الاحداث التي تتابعت سريعا في هذا العهد ، نجد ان الاسلام قد لقى نضالا عنيفا من مشركي قريش ، وكاد الخطر يحدق بالدعوة ، حتى قضى على معقل ذلك النضال في فتح مكة ، ثم قهر خصوم الدين في حنين ، ولم يكد المسلمون يطمئنون الى درء الخطر ، حتى اصيبوا بوفاة الرسول ، وجوبهوا بتحد جديد وخطر رهيب من قبل المرتدين ، وكادت معركة اليمامة (سنة اثنتى عشرة للمهجرة) ان تهدد المسلمين بفناء اكثر الحفاظ للقرآن الكريم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وما ان نفض المسلمون ايديهم من قمع حركة الردة ، حتى توجهوا نحو الفتوح ، والتوغل في بلاد فارس والروم • وقبل ان يكتب للقائمين بأمر المسلمين الاستقرار وتوطيد دولة الاسلام ، حتى بدأت الفتن والاضطرابات ، التي كان من بلائها ان تخطفت ثلاثة من امراء المؤمنين تتابعا ، هم عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن ابي طالب ، رضوان الله عليهم جميعا •

ومن الطبيعي أن يتأثر الشعر بهذه الاحداث الجسام ، فيضيع منه قدر كبير ، ولعل ابن سلام كان ينظر الى هذه الاحداث حينما قال : « ••• راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ، ولا الى كتاب مكتوب ، والفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت او القتل ، فحفظوا اقل ذلك وذهب عليهم منه كثير » [1] والذي يهمنا من نص ابن سلام هنا قوله « فحفظوا اقل ذلك وذهب عليهم منه كثير » • وضياع الشعر عامة ــ الجاهلي منه والاسلامي ــ امر يؤكده النقاد القدامى • فابن

(١) طبقات الشعراء ص ٢٢ • لقد ذكرنا رأينا في بعد هذا القول عن الصواب فيما تقدمحيث ان رواية الشعر لم تنقطع اما تدوينه فكان من عصر متقدم • والتدوين العباسي جاء بصورته الواسعة الشاملة حيث اخذ عن صحائف الامويين والجاهليين •

سلام يذكر في مكان آخر من كتابه ، قلة ما بقى لطرفه وعبيد ، قال : « ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه ، قلة ما بقى بايدى الرواة والمصححين لطرفة وعبيد .. »[1] ويريد بالعلم هنا الشعر ، ويقول أبو عمرو بن العلاء[2] : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » . واذا أدركنا ان الشعر الذي قاله شعراء مكة ، وغير شعراء مكة من خصوم الاسلام ، كان يهاجم الرسول ويهاجي الصحابة والدين الجديد ، ثم يشاء الله أن ينتصر الاسلام على أعدائه ، ويدخل الخصوم طوعا أو كرها في رحاب هذا الدين ، أدركنا أيضا ، انه لا بد أن يعمل الناس على تجنب ما قيل من ذلك الشعر والنثر ، وقد عفا الاسلام عما سلف من مهاترات المشركين ، فمن الطبيعي أن يُباد كثير من الشعر القرشى ، لما فيه من تعريض بالرسول والصحابة ، وما فيه من اثارة للحزازات بين المسلمين ، بعد أن وحدهم الايمان . وصار الشعر الذي كان مفخرة قريش بالامس ، سبة وعارا تتوارى من سماعه ، وتتبرأ من نسبته ، ثم أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، نهى عن رواية أشعار بعينها . على انا مع كل ذلك ، يجب أن نحذر الغلو في تقدير ما ضاع من شعر قريش ، فكتب السيرة النبوية والادب ، وان ذكرت انها اهملت شعرا فيه تعريض برسول الله وأصحابه ، فانها حفظت مع ذلك شعرا كثيرا لشعراء مكة ، وشعرا لأمية بن أبي الصلت في هجاء المسلمين ، على الرغم من نهي رسول الله عن رواية ذلك الشعر .

الشك فيه :

واذا كان كثير من الشعر المتعلق بأحداث هذه الفترة قد ضاع ، فان ما بقى من هذا الشعر لا يصح أن يؤخذ على أنه صحيح لا ريب فيه ، كما

---

(١) طبقات الشعراء ص٢٣ .

(٢) ابن جنى : الخصائص جـ١ ص ٣٩٢ .

أنه لا يصح أن يرفض على أنه باطل لا نفع به ، وانما يؤخذ بالتنقيـــة والتنقيح والتمحيص ، فمنه الصحيح الذي لا غبار عليه ، وقد وثقتـــه الرواة ، وصححه الناقلون الثقات ومنه الفاسد المصنوع أو المنسوب الى تلك الفترة ، وان استجلاء الشعر الصحيح من الشعر الفاسد الموضوع ، مهمة غير يسيرة ، وذلك أن كتب السيرة والادب على العموم ، أقرب الى القصص منها الى التاريخ • وطبيعة موضوعاتها تحتمل الوضع والتزيد • وقد فطن لذلك الرواة العلماء ، فنبهوا الى ما فيها من شعر فاسد منحول • ففي كتاب السيرة ــ وهو من أهم وأقدم الكتب التي اعتنت بأحداث وشعر هذه الفترة ــ كثير من الشعر الموضوع • فعمل ابن هشام على استداركه على ابن اسحق راوي السيرة ، وأسقط كثيرا منه ، وبيَّن زائفه ، وذكر نقد العلماء له • وقد أقر ابن اسحق بذلك ، واعتذر الى أنه لا علم لـــه بالشعر ، يحمل منه الجيد والرديء ، قال[1] : « لا علم لي بالشعر أُتى به فأحمله » • ولم يرض ابن سلام بذلك عذرا ، فقال[2] : « ولم يكن له ذلك عذرا ، فكتب في السيرة أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ، وأشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ، وليس بشعر انما هو كلام مؤلف ، معقود بقواف ، أفلا يرجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ومن أداه منذ آلاف السنين ، والله تبارك وتعالى يقول : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي لا بقية لهم ••• فلو كان الشعر مثـل ما وضـع لابن اسحق ، ومثـل ما رواه الصحفيون ، ما كانت اليه حاجة ، ولا فيه دليل على علم » • ونقد ابن النديم ابن اسحق أيضا ، فقال[3] : « ويقال كان يعمل له الاشعار ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها في كتابه السيرة فيفعل ، فضمن كتابه من الاشعار مـا صار به فضيحة عند رواة الشعر » •

(١و٢) طبقات الشعراء ص ٩ •

(٣) الفهرست ص٣٦ ط المكتبة التجارية •

ان عمل ابن هشام ، المتوفى سنة ٢١٨هـ ، واشارات ونقد ابن سلام ، المتوفى سنة ٢٣١هـ ، كانا من أولى الركائز التي اعتمد عليها الذين يشككون في صحة الشعر الجاهلي ، وفي صحة الشعر الاسلامي من المحدثين ، وصار كتاب السيرة وكتاب طبقات الشعراء معلمين من معالم البحث في النحل والانتحال •

ولنذكر أن من التجاوز على الحق ، والخروج على أسس البحث العلمي الصحيح ، أن نغلو في تقدير المنحول من الشعر الجاهلي أو الاسلامي ، معتمدين على مفترضات لم تصح تاريخيا ولم تثبت ، ومن الخطأ الفاحش أن تؤخذ فكرة الانتحال مركبا ذلولا لدفع كل ما يغمض على الدرس ، ويلتبس مع النظرة العجلى ، ومع القصد الفاسد الخبيث ، فان ذلك هو الضلال والتضليل ، واذا كان ابن سلام قد فتح للنقاد طريقا يؤدي الى تصحيح الخطأ ورد المنحول ، ومعرفة الحق من الباطل ، فانه كذلك قد وضع في الاذهان الصافية ان[1]: « ما اتفقوا ـ أي العلماء ـ عليه فليس لاحد أن يخرج منه » • وفي منهجه هذا وضع حدا لفوضى الشك • وليس لاحد أن يرضى لنفسه الشك في شعر معتمدا على رواية مفردة شاذة من الروايات ، فقد ترد اخريات توثقه وتصححه ، فان لم يقم دليل واضح وحجة بينة على بطلان ذلك الشعر ، فلا علينا ان نرجح الشك اذا كان اليقين يلوح في أحداث أخرى تثبته وتوثقه ، وكثيرا ما تغرب روايات وتخفى عن علم الرواة أنفسهم ، ومن الطريف في ذلك أن تعقد المحاجة بين راويين كبيرين هما : خلاد بن يزيد الباهلي وخلف بن حيان الاحمر ، فيروى أن خلادا قال لخلف[2] : « بأي شيء ترد هذه الاشعار التي تروى ، قال له : هل فيها ما تعلم أنت أنه مصنوع لا خير

---

(١) طبقات الشعراء ص٥ ـ ٦ •

(٢) نفس المصدر ص٨

فيه ؟ قال نعم ، قا ل: أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال نعم ، قال : فلا تنكر ان يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت » • ومن الشعر ما ترجح صحته الاسانيد اذا عدمت مرجحات الصحة الاخرى •

ومنهجنا في تناول الشعر الذي ندرسه ، يقوم على أخذ ملاحظات النقاد السابقين الثقات بعين الاعتبار ، اذ لا يمكن أن نركن الى شعر نبه على بطلانه الاقدمون ، وحام الشك حوله ، ولا نركن كذلك الى رواية اولئك الرواة الذين عرفوا بتزيدهم ووضعهم كحماد الراوية وخلف الاحمر ، ومن لف لفهما ، وضمانة كل بحث أمين يعتمد تمحيص الاخبار والاشعار وتنقيحها وتحقيقها • واننا قبل أن نستفيد من الشعر في دراستنا ، نعرضه على الحدث التاريخي ، فاذا استجاب له قبلناه ، والا رفضناه ، ولم نبن عليه حكما أو نتيجة من النتائج ، ونقارن شعر الشاعر بما ثبت وصح من شعره ، فاذا وافقه كان منه والا أعرضنا عنه ، وان ما نتوصل اليه من نتائج وأحكام ، لا نزعم لها اليقين القاطع ، والحكم الاخير ، فأين اليقين القاطع في مثل هذه الابحاث ، وفي مثل هذه الفترة الدقيقة الحساسة ؟

الاسلام والشعر

نستطيع أن نتبين النظرة الدينية للشعر ، مما جاء في الآيات القرآنية وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة الكرام، معتبرين وناظرين الى الفترة الزمنية وحاجة المسلمين وظروفهم ، فعلى ضوء ذلك وجه الدين الشعر ووقف منه ، فالاسلام قد اتخـــذ من الشعر مواقف تنسجم وطبيعة المرحلة التي شهدتها الدعوة ، فنجد أن الدين قد هاجم الشعر والشعراء في الفترة الاولى ، فترة البدء بنشر الدين ، فترة الانطلاق ثم نراه يقف من الشعر والشعراء موقف المشجع الموجه ، وذلك حـين أتيح للمسلمين أن يتخذوا الشعر ســلاحا من أسلحــة الحرب ، يقاتلون به أعداءهم المشركين ، يقاتلونهم بالشعر كما يقاتلونهم بالسيف • أما بعد الفتح ـ فتح مكة والطائف ـ فينهي الشعر مهمته ، وينتفي دوره ، فليس هناك بعد من عدو قريب يثير حفيظته ، ويدفع الناس لقتاله ، وانما قـــد صار الاعداء ـ أعداءالامس ـ بعضا من المسلمين ، وعاد اجترار الشعر يثير الضغائن وينبش الاحقاد التي مسح الاسلام عليها بالعفو والتسامح •

ولذلك فلا يصح أن يقال : ان الدين غض من الشعر ونهى عنه ، كما لا يصح أن يقال : انه شجع الشعر دون توجيه وتهـذيب وتحديد ، بل لا يمكن قطعا أن ينظر الى الشعر بمعزل عن الاحداث • ولننظـــر مصداق ذلك فيما يلي من عرض وتفصيل •

القرآن والشـــعر :

اذا تتبعنا ما ورد في كتاب الله ، من ذكر لكلمة شعر وشاعر ، نجد أن القرآن ينزه الرسول عن قول الشعر ، ويدفع مزاعم المشركين الذين زعموا أن القرآن شعر ، أو ضرب من الشعر ، قال تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين »(١) . وترد كلمـــة (شاعر) في سياق حكاية مزاعم قريش ، من أن الرسول شاعر ، وقـد نزه الله رسوله عن ذلك الوصف ، قال تعالى : « بل قالوا أضغاث أحلامٍ بل افتراه بل هو شاعر »(٢) . « ويقولون ائنا لتذركوا آلهتنا لشـــاعرٍ مجنون »(٣) . « أَمْ يقولون شاعر نتربص به ريب المنون »(٤) . « وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون »(٥) . فالقرآن الكريم ينزه الرسول عن قول الشعر ، في أكثر من موطن ، وقد رد على مزاعم المشركين ، من أن القرآن قول شاعر ، وقد وبخهم ووصفهم بقلة الايمان . ترى ما السبب في ذلك ؟ هل هو الزراية على الشعر والشعراء ؟ لعيب كان فيهم ، ووصمة ملازمة لهم ؟ أم غير ذلك ؟

لعل الحكمة في تنزيه الرسول عن قول الشعر ، وعن أن يكون شاعرا ، أن الله سبحانه قد وصف الشعراء بالطيش والسفه ، وبأنهـــم قوالون غير فعالين . فقال تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون »(٦) . فنزه الله رسوله أن يكون واحدا من هؤلاء ، والظاهر أن الشعراء معروفون منذ القـــدم

---

(١) يـــس ٣٦
(٢) الانبيـــاء ٢١
(٣) الصافات ٣٧
(٤) الطـــور ٥٢
(٥) الحـــاقة ٦٩
(٦) الشـــعراء ص ٢٦

بالغلو والكذب والتهويل ، فاذا مدحوا جاوزا الحق ، وأفرطوا باضفاء الصفات الفخمة على من يستحقها ومن لا يستحقها ، واذا خاصموا هجوا بالقول اللاذع والعبارة المقذعة ، يصوغون من الصفات ما قبح وفحش ، ليكون أبلغ في الايلام ، ثم أنهم منذ القديم يتعرضون لاعراض الناس وحرماتهم ، فيصفون الخلوات المريبة الشائنة ، وذلك ـ أو بعض ذلك ـ لا يليق برسول اصطفاه الله من بين الناس ، ليكون قدوة في الصدق ، وطيب السجية ، وتوخي الحقيقة . وقد ذكر السيوطي تعليلا فيه بعض الوجاهة ، قال[١] : « ان علماء العروض مجمعون على انه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الايقاع ، الا أن صناعة الايقاع تقسيم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة ، فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الايقاع والايقاع ضرب من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنا من دَدٍ ولا دَدُ مني »[٢] .

واذا كان قد جاء ذكر الشعر في القرآن الكريم ، في معرض الغض والتهوين من منازل الشعراء ، في قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون » . فالمقصود بالشعراء هنا المشركون الذين آذوا رسول الله والمسلمين وهاجوهم ، ولم يكن معنى الآية لينصرف الى كل الشعراء ، بدليل استثناء الصالحين في قوله تعالى بعد ذلك : « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظُلِموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون » . وظاهر الحال ان المقصود بهؤلاء الذين آمنوا ، هم شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم حسان ورهطه ، الذين نصروا رسول الله

(١) المزهر جـ٢ ص ٢٩١

(٢) الدد : اللهو واللعب

بالسيف كما نصروه باللسان[1] ، ودافعوا عنه ، وأجابوا المشـــركين ، ودليلنا في ذلك ، أن الرسول كان يقول لحسان[2] : « اهجهم ـ يعني قريشا ـ ومعك جبريل روح القدس » • وكذلك كان يقول لكعب بن مالك ، كما كان يثني على عبدالله بن رواحة • وجبريل ـ بطبيعة الحال ـ لا يكون الا مع الصالحين ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثـــيرا •

فالقرآن الكريم قد نزه الرسول عن ان يكون شاعرا ، كما تنـــزه القرآن ان يكون شعرا ، والشعراء قد حددهم القرآن الكريم ، فمنهـــم الموصوفون بالطيش والغواية ويتبعهم الطائشون الغاوون ما داموا يهيمـون في كل واد ، ومنهم الصالحون الذين ذكروا الله كثيرا ، وهم الذين ساروا في طريق الهدى والايمان ، وقد كتب لهم النصر بعد الظلم •

فالقرآن الكريم وضع الخط العريض للنظرة الدينية للشعر والشعراء ففرق بين شعراء المشركين وشعراء المؤمنين ، ومن هذا الموقف اســـتمد الرسول موقفه ونظرته للشعر والشعراء • فالقرآن لم يحظر الشعر ولم يقف دونه ، ولكنه نزه نفسه عن ان يكون شعرا ، ورفع الرسول عن ان يكون شاعرا ، وفرق بين شعر وشعر ، وشعراء وشعراء •

الرسول والشعر :

ترد الاخبار المتعلقة بمواقف الرسول من الشـــعر في صور شتى ، منها اخبار يذم رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر ، وينتقص منـــه ، وينهى عن رواية بعضه ، وهذه الاخبار قليلة معدودة • واخبار اخـــرى فيها اعجاب الرسول ببعض الشعر ، واستماعه وطلب روايته وانشـــاده •

(١) يلاحظ هنا أن حسانا فقط لم يشارك في معركة من معـــارك المسلمين لما عرف عنه من الجبن •

(٢) العمدة جـ١ ص٣١

وتروى للرسول اقوال نقدية في بعض الشعر ، فيها توجيه وتقويم ، وهذه الاخبار كثيرة ، فأما ما كان من الضرب الاول :

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال [١] : « لأن يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه[٢] خير له من أن يمتلىء شعرا » • وروى عنه في ذكر امرىء القيس انه قال [٣] : « ذلك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها ، منسى في الآخرة خامل فيها ، يأتي يوم القيامة معه لواء الشعر الى النار » • وروى عنه عليه السلام ايضا انه قال مجيبا الرجل العامري ، الذي كان يسأله عن حقيقة نبوته [٤] : « ••• ثم انها ولدتني فنشأت ، فلما نشأت بغّضت الى اوثان قريش وُبغضَ الىّ الشعر ، وكنت مسترضعا في بني ليث بن بكر ••• » ولكل من هذهالروايات تعليل ينسجم وما جاء به القرآن من تنزيه النبي عن الشعر ، ومن حكم على صنف من الشعراء • فالروايتان الاولى والثانية ، يراد بهما اولئك الشعراء الذين اتخذوا الشعر لهوا ووسيلة للعبث والمجون ، ونهش الاعراض ، واثارة الضغائن والاحقاد ، والمديح الكاذب ، والفخر المتعالى بالاحساب والانساب ، لا بالعمل الطيب ، وذلك شعر الصمت خير منه ، لانه دعوة الى منكر •

---

(١) العمدة جـ١ ص٣١ ـ ٣٢ ، ودلائل الاعجاز ص١٣ ، واحياء علوم الدين ـ الغزالى جـ٣ ص١٢٣ •

(٢) يريه : يقذفه ، يتقيأه ، والورى بوزن الرمى : داء يدخل الجوف ، يقال ورى القيح جوفه يريه • وريا : اكله • وفي رواية الحديث تتمة هي قوله (هجيت به) وقد سقطت هذه التتمة عند ابن رشيق وفي تمامها يتوجه الشاهد وجهه أخرى •

(٣) تهذيب ابن عساكر جـ٣ ص١٠٥ •

(٤) الطبري ـ تاريخ الامموالملوك جـ١ ص٥٧٥ ط الاستقامة ١٣٥٧ هـ •

وأما قوله عليه السلام : « وبغض الي الشعر » أي قول الشعر ، فلم يكن الرسول شاعرا ، وهذا منسجم مع ما جاء في آيات الله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » . اذ لو كان شاعرا لوجب أن يسير في نهج الشعراء ، من هجاء وفخر ومديح وتشبيب ، وتلك خصال لا تنسجم مع خلق النبوة ، وطبيعة الرسالة ، ولو كان شاعرا لنسب العرب فضيلته وحجته البالغة الى تأثير الشعر لا الى نبوته ورسالته ، ولا يكون بعد ذلك الكلام الذي يلقى اليه وحيا من الله ، بل الهاما من شيطان الشعر ـ وما أكثر شياطين الشعراء[1] .

ولامر ما كانت الحكمة في أن الرسول ما روى بيت شعر كاملا ، فكان عليه السلام يتحرج من روايته صحيحا ، أو كان يروي شطر البيت صحيحا ، ويسكت عن اتمام الشطر الآخر . روي في خبر كعب بن زهير عند اسلامه ومثوله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله : « أنت الذي تقول » ويلتفت الى أبي بكر الصديق يسأله : « كيف قال يا أبا بكر ؟ » وينشده أبو بكر شعرا لكعب ، حتى اذا بلغ الى قوله :

---

(١) لقد نزه الله سبحانه رسوله الكريم لدفع الظنة عنه ، لا لعيب في الشعر . وفي هذا الخبر تحقيق ما نقول ، جاء في العقد الفريد ج٣ ص٢٩٨ ط الاستقامة : « ان المأمون قال لأبي علي المعروف بأبي يعلي المنقري : بلغني أنك أمي ، وانك لا تقيم الشعر ، وانك تلحن في كلامك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه ، وأما الامية وكسر الشعر ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا وكان لاينشد الشعر ، قال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني عيبا رابعا وهو الجهل ، يا جاهل ان ذلك في النبي فضيلة ، وفيك وفي أمثالك نقيصة وانما منع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لنفي الظنة عنه ، لا لعيب في الشعر والكتابة ، وقد قال تبارك وتعالى : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون) » .

سقاك أبو بكر بكأس رويّة

وأنهلك المأمون منها وعلّكا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مأمون والله »[1]

وكان النبي حين يريد استماع بيت أو أبيات ، يبدأ بالكلمة الاولى ليتم الشاعر ما يريد الرسول ، روي أنه لما أخبر بهجاء أبي سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب ، قام عبدالله بن رواحة مستأذنا رسول الله في هجاء أبي سفيان والدفاع عن أعراض المسلمين ، قال له الرسول[2] : « أأنت الذي تقول : فثبت الله ؟ » ولم يتم رواية البيت ، قال عبدالله : نعم يا رسول الله ، أنا الذي أقول :

فثبت الله ما أعطاك من حسن

تثبيت موسى ونصرا كالذي نُصروا[3]

فقال : « وأنت فعل بك مثل ذلك » قيل : فوثب كعب بن مالك ، فقال : يا رسول الله : ائذن لي ، فقال : « أنت الذي تقول : همّت ؟ » قال نعم يا رسول الله ، أنا الذي أقول :

همّت سخينة أن تغالب ربها

وليغلبن مغالب الغلاب[4]

فقال : « ان الله لم ينس ذلك لك » .

---

(١) الاغاني جـ ١٥ ص١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) الاغاني جـ ١٥ ص٢٨ .

(٣) في الروايات الاخرى (آتاك) بدلا من (أعطاك) .

(٤) قيل في رواية هذا البيت ان كعب بن مالك سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ماذا ترى في الشعر ، فقال عليه السلام : ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، ثم قال له : أترى الله عزوجل نسي قولك : همت سخينة ...

فنلاحظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينشد الشعر ، وانما يكتفي بأن يذكر الكلمة الاولى ، ليتم الشاعر نفسه ما يريد الرسول ، مع أنه في الوقت نفسه يدعو للشاعر ويشجعه • وكان رسول الله يتمثل بأنصاف الابيات ، حتى لا يتحقق كونها شعرا ، كما فعل ببيت لبيد حيث قال[١] : « اصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل » •

فأتى بالشطر صحيحا ، وسكت عن اكمال البيت[٢] •

أو كان رسول الله يتمثل ببيت شعر ، دون أن يقيم وزنه ، كما فعل ببيت طرفة :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا

ويأتيك بالاخبار من لم تُزوِّدِ

فقد قرأ الشطر الثاني : ويأتيك بالاخبار من لم يزودك
أو ويأتيك من لم يزودك بالاخبار

وكما فعل ببيت العباس بن مرداس حيث رواه :

أتجعل نهبي ونهب العبيد

بين الاقرع وعُيينة

والاصل[٣] : بين عيينة والاقرع

فاعترض أبو بكر قائلا : « ما هكذا يا رسول الله » • ثم فطن أبو بكر

---

(١) الاغاني جـ١٥ ص٢٨ •

(٢) واذا وردت في بعض الروايات رواية البيت كاملة ففي أكبر الظن ان ذلك من عمل الرواة والنساخ •

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ق٢ ص٤٩٣ والشعر والشعراء ص١٠١ •

وتذكر قول الله تعالى فيه ، فقال : بلى يا رسول لله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » • على أنه وردت روايات قليلة تذكر ، أن الرسول تمثل بأبيات كاملة من ذلك ما ذكر انه عليه الصلاة والسلام ، كان يرتجز بأبيات عبدالله بن رواحة في غزوة الاحزاب[(١)] :

لاهمَّ لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا
وان أرادوا فتنة أبَيْنا

وكذلك كان ينشد في أول البدء بحفر الخندق[(٢)] :

بسم الاله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
يا حبّذا ربّا وحبَّ دينا

وكذلك رويت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبيات ، فقد قالوا انه كان يقول يوم حنين[(٣)] :

أنا النبيُّ لا كذب
أنا ابن عبدِ المطلب

---

(١) انظر السيرة ق٢ ص٣٢٨ ـ ٣٢٩ ويروي هذا الرجز أيضا لعامر بن الاكوع قاله في مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر سنة سبع •

(٢) السيرة الحلبية جـ٢ ص٩٩ •

(٣) العقد الفريد جـ ٥ ص٢٨٢ ـ ٢٨٣ •

وروى انه لما دخل الغار ـ عند الهجرة ـ أصابت الحجارة اصبعه فدميت فقــــال :

هــل أنت الا اصبــع دميت
وفي سـبيل اللــه ما لقيــت

وقد عقب ابن عبد ربه على هذه الاقوال بقوله[١] : « فهذا من المنثور الذي يوافق المنظوم ، وان لم يتعمد قائله المنظوم • ومثل هذا في كــلام الناس كثير ، يأخذه الوزن » •

هذا موقف الرسول بالنسبة لقول الشعر أو روايته ، فقــد كان نزهه الله تعالى عن قول الشعر ، وعن وصفه بالشاعر ، فكان لذلك ينزه نفسه عليه السلام عن انشاد الشعر والتمثل به تام الوزن كاملا •

أما موقفه من الشعر والشعراء فهناك حالتان : الاولى ما رأينا من رأيه في شعر امرىء القيس ، والشعر الذي يثير السخائم والاحقـاد ، ويدعو الى فاحشة أو انتقاص من دين ، أو هجاء لاصحابه الكرام • وقد قيل انه عليه الصلاة والسلام ، كان قد منع بعض القصائد التي نال بهـا الشعراء المشركون من المسلمين ، واقذعوا فيها • وهذا موقف تقتضيـه ظروف المعركة الدائرة بين المسلمين والمشركين ، فيقال انه نهى عن رواية قصيدة أمية بن أبي الصلت ، التي يحرض فيها قريشا بعد معركة بدر على قتال المسلمين ، والتي يقول فيها[٢] :

ماذا ببدر والعقنقل من مرازبة جحاجح

ومع ذلك فالقصيدة موجودة في المصادر القديمة[٣] ، حيث أثبتها الرواة

---

(١) نفس المصدر السابق جـ٥ ص٢٨٣ •

(٢) الاغاني جـ٤ ص١٢٢ •

(٣) انظرها في السيرة ق٢ ص٣٠ ـ ٣٢ والاغاني جـ٤ ص١٢٢ وطبقات الشعراء ص٢٢١ •

بعد زوال المحظور • ويروى انه عليه السلام نهى عن روايـــة قصيدة الاعشى ، في هجاء علقمة بن علاثة العامري ، وقال[1] : « ان أبا سفيان شعث مني[2] عند قيصر ، فرد عليه علقمة وكذب أبا سفيان » • الا أن الشعر الذي كان قد نهى الرسول عن روايته قليل معدود محدود •

وأما الحالة الثانية : فرأى الرسول بالشعر الذي هو فن من الفنون الجميلة ، فيه تهذيب ودعوة الى فضيلة ومكرمة ، وفيه حكمة وموعظة ، وتدعيم لمبادىء الاسلام ، وتبشير بها • فقد كان رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم مشجعا لكل ذلك ، موجها تارة ، ومتخذا الشعر سلاحا من أسلحة الحرب تارة أخرى • وما دامت قريش قد اصطنعت الشعر وسيلة من وسائل حربها ، فان الرسول الكريم قد دفع الشعراء ليقولوا لهم مثل ما يقولون • هذا شيء ، وشيء آخر ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر للشعر على انه ملكة من الملكات الفنية ، التي اشتهرت بهـــا العرب ، وأحبتها وولعت بها ، وصارت بعضا من فكرها ، وذات أثر فعال في نفسيتها ، والرســـول نفســـه يقـــول[3] : « لا تـــدع العــــرب الشـــعر ، حتى تدع الابــــل الحنـــين » • ومن قولـــه أيضـــا : « ان من الشعر لحكمة »[4] وقد ذكر في سبب هذا الحديث ، ان أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جرح في غزوة ، وكان الدم يسيل من جرحه دون انقطاع ، ولم ينفع فيه ضماد ، حتى جاء حســـان

(١) الفائق ـ الزمخشري ١/٦٦٤ مادة : شعث •
(٢) شعث ـ انتقص •
(٣) العمدة ١/٢٩ •

(٤) انظر احياء علوم الدين ـ الغزالي وتخريجه حلال الشـــعر وحرامه ، والروايات التي ساقها في ذلك عن رسول الله (ص) • وينظر كذلك زهر الاداب جـ١ ص٨ والمزهر ـ السيوطي ٢/٢٩١ وتاج العروس مادة (حكم) •

ابن ثابت ، فقال : أئتوني بكافور • فوضع الكافور على الجرح فجف الدم • ثم سأل النبي حسانا : من أين اقتبست هذا يا حسان ؟ قال : من قول الشاعر :

فكرت ليلة وصلها في هجرها
فجرت مدامع مقلتي كالعندم

فطفقت أمسح مقلتي بخدها
اذ عادة الكافور امساك الدم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان من الشعر لحكمة » •

وقد جاء في نصوص أخرى تكملة للحديث وهو « وان من البيان لسحرا » ذكر الماوردي[1] : ان النبي صلى الله عليه وسلم أُنشد عنده قول الاعرابي :

وحي ذوي الاضغان تسب قلوبهم
تحيتك الحسنى فقد ترفع النعل

فان دحوا بالمكر ناعف تكرما
وان حبسوا عنك الحديث فلا تسل

فان الذي يؤذيك منه سماعه
وان الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحرا » •

وهناك روايات أخرى كالتي ساقها أبو نعيم الاصفهاني[2] في تخريج

(١) أدب الدنيا والدين ص١٧٨ ط ١٦ •
(٢) حلية الاولياء جـ٣ ص٢٢٤ •

هذا الحديث ، وكذلك ما رواه الميداني في ذلك حيث جعله أول مثل من أمثاله فقال(١) : « قال النبي صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه عمرو بن الاهتم ، والزبرقان بن بدر ، فقال عمرو : مطاع في أدنيه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره ، فقال الزبرقان : يا رسول الله انه ليعلم مني أكثر من هذا ، ولكنه حسدني ، فقال عمرو : أما والله ، انه لزمر المروءة ، ضيق العطن ، أحمق الوالد ، لئيم الخال ، والله يا رسول الله ما كذبت في الاولى ، ولقد صدقت في الاخرى ، ولكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وسخطت فقلت أقبح ما وجدت ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ان من البيان لسحرا » .

وليس من خلاف اذا تكررت الروايات على وجوه ، فقد تكون المناسبات التي قيل فيها هذا الحديث متكررة فتكرر معها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والرسول الكريم لم يكن ليعطل ملكة اشتهر بها قومه ، وأحبوها ، ونبغوا فيها ، ومن الشعر كلام طيب رفيع جليل القصد . قالوا : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال(٢) : « انما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق منه فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه » وروي عنه أيضا(٣): « انما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب » .

وكان الرسول حريصا على أن يتجه الشعراء بشعرهم نحو تمثل

---

(١) مجمع الامثال جـ١ ص٧ ط٢ سنة ١٩٥٩ .

(٢) العمدة جـ١ ص٢٧ .

(٣) نفس المصدر السابق ، وجاء في حديث ابن عمر ـ أو حديث عروة ـ قول رسول الله في الشعر : (انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح) . دلائل الاعجاز ـ عبدالقاهر الجرجاني ص٢٠ ط٣ دار المنار ١٣٦٦ هـ .

المفاهيم الاسلامية ، ونشر المثل الجديدة ، التي تنأى عن التمسك بضلالات الجاهلية وعصبياتها ، لئلا يكون في الشعر عبث ومجون ، فاذا ما شعر رسول الله ، ان هناك ميلا لترديد المثل الجاهلية ، نبه وعاتب ووجه ، أنشد النابغة الجعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

أتيت رسول الله اذ جاء بالهدى
ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فيشعر رسول الله أن الشاعر نزع الى فخر الجاهلية ، فيسأله : « الى أين يا أبا ليلى ؟» فيجيبه : « الى الجنة يا رسول الله » فيعجب النبي جوابه الذي ظهر فيه تهذيب الاسلام ، فيقول الرسول داعيا : « الى الجنة ان شاء الله » .

ثم ينتهي النابغة الى قوله :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له
بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

ناظرا في ذلك الى قول الله تعالى : « خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين » والى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » . ويعجب النبي بفهم النابغة ـ وهو البدوي ـ لمفاهيم الاسلام ويدعو له بقوله :

« لا يفضض الله فاك » • ويقول الرواة[1] : انه عاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض[2] للنابغة ثنية •

ومن تشجيع رسول الله عليه الصلاة والسلام للشعراء انه دعا يوما عبدالله بن رواحة وقال له[3] : « قل شعرا تقتضيه الساعة وأنا أنظر اليك » فانبعث عبدالله يقول :

انى تفرست فيك الخير أعرفه
والله يعلم ان ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أزرى به القدر

فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

فدعا له الرسول مشجعا : « وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة » • وكان صلى الله عليه وسلم اذا سار في مسيرة طلب من ينشد كما فعل في مسيره الى خيبر (سنة سبع) حيث قال لعامر ابن الاكوع[4] : « انزل يا ابن الاكوع فخذ لنا من هناتك »[5] فنزل يرتجز قائلا :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا

---

(١) الاغاني ٩/٥ والشعر والشعراء ٢٤٨/١ والعقد الفريد ٢٧٦/٥ ، دلائل الاعجاز ص١٨ •

(٢) تنفض : تتحرك وتسقط •

(٣) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٩٠٠/٣

(٤) السيرة ٣٢٨/٢ ـ ٣٢٩

(٥) هناتك : أي اشعارك يكنى عن الهنة عما لا يعرف اسمه •

انـــا اذا قوم بغـــوا علينـــا
وان أرادوا فتنــــة أبينـــا

فأنزلـــن ســـكينة علينـــا
وثبـت الاقـدام ان لاقينـــا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحمك الله » .

وجاء في الاغاني[1] أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ليلـة وهو في سفر : « أين حسان بن ثابت ؟ » فقال حسان : « لبيك يا رسول اللـه وسعديك » قال : « احدُ » فجعل ينشد والنبي يصغي اليه فما زال يستمع اليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمس الورك حتى فرغ من نشيده فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لهذا أشد عليهم من وقـع النبـــل » .

وفي عمرة القضاء سنة سبع ، كان عبدالله بن رواحة آخذاً بخطـام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة معتمرا ، وعبداللـه ينشـــد[2] :

خلوا بني الـكفار عن ســبيله
خلوا فـكل الخـير في رسوله
يـا رب انــى مؤمـــن بقيلـه
أعرف حـق اللـه في قبولـــه
نحــن قتلنـــاكم على تأويلـــه
كما قتلنـــاكم عـلى تنزيلـــه
ضربا يزيل الهـــام عن مقيله
ويذهل الخليـــل عن خليـله

(١) الاغـــاني جـ٤ ص١٣٦ .
(٢) السيرة ق٢ ص ٣٧١ .

ويقال : ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه زجر ابن رواحة قائلا : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله عزوجل تقول الشعر ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خل عنك يا عمر ، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل »(١) .

والملاحظ أن الاشعار التي يشجع النبي قائلها ويدعو له هي أشعار تستفيد من المعاني الاسلامية وتمثل خط الدعوة وفي هذا توجيه ظاهر للشاعر ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرعى الشعراء ويقوم من شعرهم ويوجههم الوجهة الدينية الصحيحة يسمع الرسول كعب بن مالك الانصاري ينشد(٢) :

ألا هل أتى غسان عنا ودوننا
من الارض خرق غوله متتعتع
مجالدنا عن جذمنا كل فخمة
مدربة فيها القوانس تلمع

فيوجهه رسول الله وجهة تناسب تعاليم الدين بقوله : « لاتقل عن جذمنا وقل عن ديننا » فكان كعب يقرأ كذلك ، ويفخر بذلك ويقول : « ما أعان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا في شعره غيري » .

ويرى في شعر عبدالله بن رواحة انتقاصا من قريش ، وافتئاتا عليها في قول عبدالله(٣) :

فخبروني أثمان العباء متى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

---

(١) الاداب الشرعية ـ لابن مفلح الحنبلي جـ٥ ص١٠٣
(٢) السيرة ق٢ ص ١٣٣ و١٣٦
(٣) طبقات الشعراء ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

قال عبدالله راويا : فكأني عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة ان جعلت قومه أثمان العباء ، فقلت :

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور

فالنبي في الوقت الذي يشجع الشعراء ، ويدعو لهم بالخير ، يحرص على رعاية اتجاهاتهم الفكرية ، التي يريدها أن تسير في خط الفكرة الاسلامية ، فاذا استطاعوا أن يقولوا وفق ذلك فذلك حسبهم ، والا فليسكتوا عن اللغو القبيح ٠

وكان من تشجيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه كان يدعو الناس الى استماع ما يقول الشاعر ، والاصغاء اليه ، اذا كان في ذلك الشعر نفس اسلامي ، وروح ديني ، فقد انشد كعب بن زهير قصيدته المعروفة بـ (بانت سعاد) ، في مسجد النبي ، فلما بلغ الى قوله[١] :

ان الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
عند اللقاء ولا خور معازيل

(١) الاغاني ج١٥ ص١٤٣ ونقد النثر ص٦٧ ٠ الانكاس ج نكس : الرجل الضعيف ٠ الكشف ج اكشف الذي لا ترس له ٠ أي الشجعان الذين لا ينكشفون في الحرب ٠ الميل ج أميل : الذي لايحسن الركوب فيميل عن الفرس ٠ المعازيل ج معزال : من لا سلاح له ٠

أشار عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق ، أن اسمعوا شعر كعب .

والشعر الجيد الرفيع يؤثر في نفس رسول الله ، ويشجيه ، فقد أنشدته قتيلة بنت النضر بن الحارث في بكاء أبيها ـ وكان ممن قتلهم المسلمون بعد بدر ـ قولها(١) :

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق(٢)

أبلغ بها ميتا بأن تحية
ما ان تزال بها النجائب تخفق

مني اليك وعبرة مسفوحة
جادت بواكفها وأخرى تخنق

هل يسمعنّي النضر ان ناديته
أم كيف يسمع ميت لا ينطق

أمحمد يا خير ضنء كريمة
في قومها والفحل فحل معرق

---

(١) السيرة ق١ ص٦٤٤ ، ق٢ ص٤٢ . والعمدة ج١ ص٥٦ ودلائل الاعجاز ص١٩ وزهر الآداب ج١ ص٣٤ . وجاء في السيرة ان قتيلة اخت النضر وقد صححه السهيلي في الروض الانف بأنها بنته لا أخته وكان النضر ممن آذوا رسول الله أشد الاذى .

(٢) الاثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء . مظنة : موضع ايقاع الظن . النجائب : الكرام من الابل . تخفق : تسرع . الواكف :السائل . الضنء : الاصل ويروى ضيء : الولد . المعرق : الكريم . تنوشه : تتناوله بالضرب . الرسف : المشى الثقيل ، وهنا مشى المقيد . العانى : الاسير .

ما كـــان ضــرك لو مننت وربمـــا
من الفتى وهـــو المغيـــظ المحنـــق

أو كنـــت قابـــل فديـــة فلينفقن
بأعز ما يغلو بـــه مـــا ينفق

فالنضر أقرب من أســـرت قرابـــة
وأحقهم ان كان عتق يعتـــق

ظلتسيـــوف بنـــي أبيـــه تنوشـــه
للـــه أرحـــام هنـــاك تشقق

صبرا يقـــاد الى المنيـــة متعبـــا
رســف المقيـــد وهـــو عان موثـــق

فيبلغ منه التأثر ان تدمع عيناه ، ويقول[١] : « لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه » • وليس عجيبا أن يعجب الرسول بالشعر ، وهو العربي ، كمـــا يعجب به العرب أصحاب الذوق والفصاحة ، فهو يهتز للشعر يسمعه من مستغيث مستجير لهفان ، بحيث ينصر المستنصر ، ويغيث الملهوف ، حتى ليعلن الحرب على المعتدين ، ويسير نحو الظالمين • جـاء في السيرة[٢] : ان عمرو بن سالم الخزاعي أحد بني كعب قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، يشكو من عدوان قريش وحليفتها بني بكر ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين عقد الصلح ـ صلح الحديبيـة مع قريش ـ اشترطوا لوقف الحرب بينهم عشر سنين ، أن يترك للقبائل الخيار في الدخول في عقد المسلمين ، أو في عقد قريش ، فدخلت خزاعة في عقد المسلمين ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش ، وكانت شكوى عمرو بأرق اسلوب ، وأبدعه عاطفة واثارة واستنجادا ، فقال :

---

(١) العمدة جـ١ ص٥٦ ، وزهر الآداب جـ١ ص٣٤ •

(٢) السيرة ق٢ ص ٣٩٤ •

يا رب اني ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الاتلدا[1]

قد كنتم ولدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرا أعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيم خسفا وجهه تربدا

في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك الموكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

---

(١) الاتلد : القديم • قد كنتم ولدا وكنا والدا : يريد أن بني عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية ، والولد : (بالضم) بمعنى الولد (بالتحريك) • النصر الاعتد : الحاضر السريع • والمدد : العون والنجدة • تجرد : شمر وتهيأ للحرب • تربد : تغير لونه الى السواد • الفيلق : الجيش الكثير ، يذكر ويؤنث • كداء : موضع بأعلى مكة • الوتير : اسم ماء بأسفل مكة كان لخزاعة • الهجد : النيام هنا ، ومن معناها المستيقظون أيضا والكلمة من الاضداد •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصرت يا عمرو بن سالم •
وكان ذلك من أسباب الفتح ، فتح مكة •

وكذلك كان يتأثر باستعطاف الشعراء حين يلتمسون منه فك أسير أو طلب منة ، هذا شاعر هوازن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسترحما بعد أن نزل بهم البلاء ، ووقعوا أسرى بعد حنين(١) :

أمنن علينا رسول الله في كرم
فانك المرء نرجوه وندخر

أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
اذ فوك يملأه من مخضها الدرر

أمنن على نسوة اعتاقها قدر
ممزق شملها في دهرها غير

أبقت لنا الدهر هتافا على حزن
على قلوبهم الغماء والغمر

اللات اذ كنت طفلا كنت ترضعها
واذ يزينُكَ ما تأتي وما تذر(٢)

الا تداركها نعماء تنشرها
يا أرجح الناس حلما حين يختبر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه
من أمهاتك ان العفو مشتهر

---

(١) المقريزي ـ أمتاع الاسماع جـ١ ص٤٢٧ ، وتاريخ الكامل ـ ابن الاثير جـ٢ ص١٠٣ •

(٢) اللات : واللاتى واللواتى واللوا واللتيا ، كلها بمعنى واحد •

يا خير من مرحت كمت الجيـاد به
عند الهيـاج اذا ما استوقد الشـرر

انا نؤمـل عفـوا منـك تلبسـه
هدى البريـة اذ تعفـو وتنتصـر

فاعف عفا الله عمـا أنت واهبـه
يوم القيامة اذ يهدى لك الظفـر

لا تجعلنـا كمن شـالت نعامتـه
واستبق منا فانا معشر زهـر

انـا لنشـكر آلاء وان قدمت
وعندنا بعد هـذا اليوم مدخر

فيبلغ بالنبي التأثر والعطف أن يهب لهم ما أرادوا ، ويسأل المسلمين نصيبهم من الغنائم والاسرى فيهبونهم اكراما لرسول الله صـلى اللـه عليه وسـلم .

الشعر من أسلحة الدعوة :

ولم يكن من طبيعة الامور أن يترك الشعر بمعزل عن الاحداث ، بعد أن تطورت الخصومة واشتدت ، بين رسول الله وأصحابه من جهة ، وبين قريش ومن والى قريشا من يهود وأعراب مشركين من جهـة أخرى ، فقد رأى عليه السلام ، أن سلاح البيان أشد على القوم من وقـع النبال في غلس الظلام ، فكان أن اتخذ الشعر سلاحا في حربه ، ووسيلة من وسائل نشر مبادىء الدين .

وهذه قريش تحاربه بالشعر ، كما حاربته بالسيف ، فكيف يقعـد عن توجيه شعرائه ، وهو يرى أثر الشعر فيهم ، وفعل اللسان في صفوفهم

ونفوسهم ، فلا بد أن يواجه السلاح بسلاح مثله ، وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحين تمادت قريش في هجاء الرسول وأصحابه ودينه ، استنهض الرسول شعراء المسلمين قائلا : « من يحمي أعراض المسلمين ؟ »[1] فيقوم اليه نفر من شعراء المدينة ، فينظر في شعرهم ملاحظا المعاني الاسلامية عندهم ، فيشجعهم ويدعو لهم ، ثم يختار أسلطهم لسانا ، وأقواهم بيانا . يقوم عبدالله بن رواحة فينظر في شعره ويبين له مواطن القوة فيه ، فيقول : « أنت شاعر كريم » . ويقوم اليه كعب بن مالك ، فيقول له الرسول : « وأنت تحسن صفة الحرب » . ويقوم حسان بن ثابت فيجد عنده القوة الهجائية ، فيقول[2] : « نعم أهجهم أنت ، فانه سيُعينك عليهم روح القدس » . ويوجه حسانا الى أبي بكر ليعلمه مثالب القوم وايامهم وأحسابهم ومآتيهم ، ليكون هجاؤه مبنيا على حقائق دامغة ، ومثالب يعرفونها ولا ينكرها منكر ، حتى قال قائلهم بعد أن سمعوا هجاء حسان[3] : « ان هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة » . وظن بعضهم أن أبا بكر قال ذلك الشعر ، فقالوا[4] : « لقد قال أبو بكر الشعر بعدنا » .

وكان ان سر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوفيق الذي أحرزه حسان فكان الرسول يستنشده ويطيل الاستماع اليه ، ثم يقول[5] : « لهذا أشد عليهم من وقع النبل » . وروي عنه أنه قال : « أمرت عبدالله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى » . وكان رسول الله يحذر حسانا أن يقع في التناقض ،

(١) العقد الفريد جـ٥ ص٢٩٤ وزهر الآداب جـ١ ص٦٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الاغاني جـ٤ ص١٣٨ ط الدار ، والفائق جـ٢ ص٢٤٤ .
(٤) يحتمل أن يكون في هذا القول ضرب من التهكم وقد علموا أن أبا بكر قد لقن حسانا مثالبهم .
(٥) الاغاني جـ٤ ص١٤٠ .

ان هو هجا قريشا ، فالرسول قرشي ، وبيته فيهم ، فيتعهد حسان قائلا[1] : « والذي بعثك بالحق نبيا ، لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين » .

ويأتي وفد تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلا ، فيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب ، يطلبون أن يناظروا خطيب رسول الله وشاعره ـ وذلك سنة تسع ، سنة الوفود ـ فيتقدم الزبرقان بن بدر ، فينشد مفاخرا ومباهيا[2] :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا
منا الملوك وفينا تقسم الربع

وكم قسرنا من الاحياء كلهم
عند النهاب وفضل العز يتبع

ونحن يطعم عند القحط مطعمنا
من الشواء اذا لم يؤنس القزع

ثم ترى الناس تأتينا سراتهم
من كل ارض هويا ثم نصطنع

فننحر الكوم عبطا في أرومتنا
للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا

فلا ترانا الى حي نفاخرهم
الا استقادوا وكانوا الرأس يقتطع

---

(١) العقد الفريد جـ٥ ص٢٧٧ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص٢٤٥ ـ ٢٤٦ والسيرة ق٢ص٥٦٣ ويروي في البيت الاول (وفينا تنصب البيع) والربع : حصة الرئيس من الغنيمة والبيع : مواضع الصلوات والعبادات ، وأحدها بيعة (بكسر الباء) . القزع : السحاب الرقيق ، يريد اذا لم تمطرهم السماء فأجدبت الارض . هويا : سراعا . الكوم جـ كوماء : الناقة العظيمة السنام . عبطا : من غير علة . في أرومتنا : أي هذا الكرم متأصل فينا .

فمـــن يفاخرنـــا في ذاك نعرفـــه
فيرجـــع القوم والاخبار تستمع
انا أبينـــا ولا يأبـى لنـــا أحـــــد
انا كذلـــك عنـــد الفخر نرتفـــع

وظن شاعر القوم أنه بلغ من الفخر كل مبلغ ، وانه لا يطاوله أحد ، أو يكسفه شاعر من الشعراء ، فلما فرغ الشاعر من قصيدته وأتي بحسان بن ثابت ـ وكان غائبا ـ أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يجيب شاعر القوم ، وبعد أن سمع حسان قصيدته ، وأدرك مقاصد الشاعر قال قصيدته البديعة الرائعة(١) :

ان الذوائب من فهر واخوتهـم
قـــد بينوا سنة للناس تتبـــع
يرضى بها كل من كانت سريرتـــه
تقوى الاله وبالامر الـذي شـــرعوا
ســـجية تلك منهم غـــير محدثـــة
ان الخلائق فاعلـم شـــرها البدع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهـم(٢)
عند الدفاع ولا يوهون مـا رقعـــوا

(١) الديوان ص ٢٤٨ ـ ٢٥١ ، والسيرة ق٢ ص٥٦٤ ـ ٥٦٥ ، والاغاني جـ٤ ص١٣٦ ، ١٥٠ • الذوائب : السادة ، وأصله من ذوائب المرأة وهي غدائرها التي تعلو الرأس • السجية : الطبيعة •

(٢) ما أوهت : ما هدمت • لا يطبعون : لا يتدنسون ، الطبع : الدنس • متعوا : زادوا ، يقال متع النهار ، اذا ارتفعت شمسه • الصاب : نبات مر شديد • السلع : نبات مسموم • نسمو : ننهض • الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم • الخور : الضعفاء • الجزع : عدم احتمال الصبر •

ان كان في النــــاس ســباقون بعدهم
فكل سبق لأدنى سبقهم تبــع

ولا يضنون عن مــولى بفضلهم
ولا يصيبهم في مطمــع طبــع

لا يجهلون وان حاولت جهلهــم
في فضل أحلامهم عن ذاك متسع

أعفّــــة ذكرت في الوحــى عفّتُهم
لا يطبعــون ولا يرديهم الطمـــــع

كم من صديق لهم نالوا كرامتــــه
ومن عدو عليهم جاهـــد جدعـــوا

اعطوا نبيَّ الهــــدى والبر طاعتهــم
فما ونــا نصــــرهم عنــه وما نزعوا

ان قال ســيروا أجدوا السير جهدهم
أو قال عوجوا علينــــا ســــاعة ربعوا

ما زال ســيرهم حتى اســــتقاد لهــم
أهل الصليب ومن كانت لـــه البيع

خذ منهم ما أتى عفــوا اذا غضبــوا
ولا يكن همك الامر الذي منعـــوا

فان في حربهم ــ فاترك عداوتهــم ــ
شرا يخاض عليــه الصاب والسـلع

نسمو اذا الحرب نالتنــا مخالبهـــــا
اذا الزعانف من أظفارهـــا خشعوا

لا فخر ان هم أصـــابوا من عدوهم
وان أصيبوا فلا خور ولا جزع [1]

كأنهم في الوغـى والمــوت مكتنـــع
أُسْدٌ ببيشـــة في أرســاغها فـــدع

اذا نصبنـــا لقــوم لا ندب لهـــم
كما يدب الى الوحشـــية الـــذرع

أكرم بقـــوم رسول اللـــه شيعتهم
اذا تفرقـــت الاهـــواء والشـــيع

أهدى لهم مدحـــي قلـــب يؤازره
فيما يحب لســـان حائك صنـــع

فانهم أفضـــل الاحيـــاء كلهم
ان جد بالناس جد القول أو شـــمعوا

ولا شك ان هذه القصيدة بلغت غايتها من القوة وشدة الوقـــع في نفوس السامعين ، حيث استفاد حسان من المعاني الاسلامية في فخره ، كما أجاد في تصوير هيبة المسلمين وقوتهم ، حين اتبـــع اسلوب الحماســـة الجاهلية ويكون من أثر هذه القصيدة أن يعترف أشراف تميم بأن محمدا مؤتى له • وما كان حسان ليغلب شاعر القوم ، ويظهر عليه ، لولا توجيه الرسول لمقدرة حسان وفنه ، تلك الوجهة الدينية التي ظهرت آثارها في

(١) مكتنع : دان • في أرساغها فدع : في أرجلها اعوجاج ، والرسغ: موضع القيد من الرجل • نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نكتمها • الذرع : ولد البقرة الوحشية • لسان صنع : يحسن القول ويجيده • شمعوا : هزلوا ، وأصل الشمع : اللهو والطرب • ومنه : جارية شموع ، كثـــيرة الطـــرب •

القصيدة ، ويكون من توجيه الرسول ومن اتخاذه الشعر سلاحا يشهره بوجه أعدائه ، ان يجعل (مزينة) تخضع لامر الاسلام خشية من لسان حسان ،وذلك ان خزاعى بن عبد فهم ، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ـ سنة خمس ـ فبايعه على قومه (مزينة) • ثم ان خزاعيا خرج الى قومه فلم يجدهم كما ظن ، فيدعو رسول الله حسانا فيقول لــه[1] : « اذكر خزاعيا ولا تهجه » ، فيقول حسان :

ألا بلــغ خزاعيــا رســولا
بأن الــذم يغســله الوفــاء

وانك خــير عثمان بن عمرو
وأســناها اذا ذكــر الســناء

وبايعت الرســول وكان خــيرا
الى خــير واداك الثــــراء

فما يعجزك أو ما لا تطقــه
من الاشياء لا تعجز عــداء[2]

فقام خزاعي الى قومه فقال[3] : « يا قوم قد خصكم شاعر الرجل فانشدكم الله » قالوا : « فأنا لا ننبوا عليك » وأسلموا ووفدوا على النبي •

وكذلك كان أمر الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، حيث أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال[4] : « ابعث معي من يوعو الى دينك ، وأنا له جار » فأرسل معه رجلا من الانصار فغدرت بالحارث عشيرته ، فقتلوا

(١) الطبقات الكبير ص٥٦ ـ ٥٧ •
(٢) عداء ـ بطن خزاعي الذي هو منه •
(٣) الطبقات ص٥٧ •
(٤) الطبقات الكبير ص٥٦ ـ ٥٧ •

الانصاري ، فقدم الحارث على رسول الله ، وكان عليه السلام ، لا يؤنب أحدا في وجهه ، فأرسل في طلب حسان ، فلما رأى حسان الحارث أنشده :

يا حار من يغدر بذمة جاره

منكم فان محمدا لم يغدر ...الخ

فاستعاذ الحارث من حسان برسول الله قائلا : « أكففه عني يا محمد ، وأؤدي لك دية الخفارة » . وقال : « يا محمد أنا عائذ بك من شره ، فلو مزج البحر بشعره مزجه » .

فالرسول الكريم يجعل من لسان حسان سيفا ، يصلته على رقاب المشركين ، والناكثين بوعودهم ، والخارجين على أمر الدين ، وان من الاحداث ما تقصر عن حلها القوة ، فيأتي الشعر فيحسمها ويحقق ما لا تحققه أذرع وسيوف . والنبي امام المسلمين وقائدهم ، يسدد الضربة في الوقت الملائم ، ويستعد للمعركة بالسلاح الذي يريد ، وبالطريقة التي تجدى ، فيكون من توجيهه للشعر مقارعة للخصوم وقهر لاعداء الدين .

وقد حفظ أصحابه الكرام نهجه فيما بعد ، روى رجل من أهل اليمن قال[١] : دخلت الكوفة فأتيت المسجد ، فاذا بعمار بن ياسر ورجل ينشده هجاء معاوية وعمرو بن العاص ، وهو يقول : « ألصق[٢] بالعجوزين » ـ يريد معاوية وعمرو بن العاص ـ قلت له : سبحان الله ، أتقول هذا وأنتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ان شئت فاجلس وان شئت فاذهب ، فجلست فقال : أتدري ما كان يقول لنا

---

(١) العقد الفريد جـ٥ ص٢٩٥ .

(٢) ألصق : أي سدد هجاءك اليهما يقال الصق بالناب : أي الصق بها السيف واعقرها .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هجانا أهل مكة ؟ قلت : لا أدري ، قال : كان يقول لنا[1] : « قولوا لهم مثل ما يقولون لكم » • على ان عمارا ـ سامحه الله ورضى عنه ـ قد نسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوجه المسلمين ليقولوا مثل ما يقول أهل مكة ـ يوم كانوا على الشرك ـ في حرب مستعرة الاوار بين الكفر والايمان ، وعمار هنا يستنشد الشعر في اثارة أحقاد وحزازات داخلية ، فيها كثير من أثر العصبية الجاهلية ، التي عفى عليها الاسلام •

ميل الرسول لاستماع الشعر :

والرسول الكريم وان نزهه الله عن أن يكون شاعرا ، ونزه كلامه من أن يكون شعرا ، فانه وهو العربي الذي جمعت له أسباب البلاغة ، وأوتي من البيان منزلة لم تطاولها أعناق البلغاء ، فقوله يأتي بالمنزلة الثانية بعد كلام الله المجيد ، يعجبه الشعر فيسمع منه ما كرم وسما ، وما تمثل بالخلق الفاضل وتمدح بمكارم الاخلاق ، فطالما استنشد الشعراء ، واستمع الى أشعارهم ، وأكد على معاني الخير فيها ، وأشار الى ما ترتضيه النفس المسلمة من ذلك الشعر • ينشدونه من شعر الجاهلية قول عنترة[2] :

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

فيعجبه ايثار عنترة وسماحة نفسه ، حتى انه ليقول : « ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه ، الا عنترة » •

ويسمع قول لبيد بن ربيعة العامري ، وفيه ما فيه من أقباس الاسلام وروحه :

---

(١) العقد نفس الصفحة السابقة •
(٢) الاغاني جـ٨ ص٢٤٣ •

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

فيقول عليه السلام : « أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد ... »[١] .

ويسمع قول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فيستحسنه ويقول : « هذا من كلام النبوة » . ويروى عن يزيد بن مسلم الخزاعي عن أبيه عن جده ، انه قال[٢] : « دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ومنشد ينشده قول سويد بن عامر المصطلقي :

لا تأمنن وان أمسيت في حرم
ان المنايا بجنبي كل انسان

فاسلك طريقك تمشي غير مختشع
حتى تلاقي الذي مَنَّى لك الماني[٣]

فكل ذي صاحب يوما مفارقه
وكل زاد وان أبقيته فاني

والخير والشر مقرونان في قَرَنٍ
بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو أدرك هذا الاسلام لأسلم » فالرسول

---

(١) شرح الاشموني جـ١ ص٥٩ .
(٢) الفائق ـ للزمخشرى جـ٣ ص٥٢ ط هارون والعقد الفريد جـ٥ ص٢٧٥ ـ ٢٧٦ .
(٣) في رواية أخرى : ما يمني لك الماني ـ أي ما يقدر الله تعالى.

اذ يرتاح لهذا الضرب من الشعر ، ويثني عليه ، فلانه يرى فيه روحا من الايمان ، ودعوة الى مكارم الاخلاق ، وتدعيما لمعاني الخير . دخل مرة بيته فاذا بالسيدة عائشة تنشد من شعر زهير بن جناب[١] :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه
يوما فتدركه عواقب ما جنى

يجزيك أو يثني عليك فان من
أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فيقول عليه السلام : « صدق يا عائشة ، لا يشكر الله من لا يشكر الناس» .

وقال الشريد بن سويد الثقفي[٢] : « استنشدني النبي صلى الله عليه وسلم شعر أمية ابن أبي الصلت ، فأنشدته فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « هيه هيه » حتى أنشدته مائة قافية » . وأنشد قول أمية[٣] :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا
بالخير صبحنا ربى ومسانا

فقال عليه السلام : « ان كاد أمية ليسلم » وقال مرة أخرى : « آمن شعره وكفر قلبه » . لأن أمية لم يسلم .

وهذه الخنساء الشاعرة تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع قومها بني سُلم لتبايع الرسول فيستنشدها [٤] ، فتنشده وهو يعجب ويستزيدها : « هيه يا خناس » ويومىء بيده .

---

(١) الاغاني جـ٣ ص١١٧ والعقد جـ٥ ص٢٧٥ .
(٣) الطبقات الكبير ـ ابن سعد جـ٥ ص٣٧٦ والخزانة جـ١ ص ٢٢٧ والمزهر جـ٢ ص٣٠٩ .
(٣) الاغاني جـ٤ ص١٢٩ ـ ١٣٠ .
(٤) النويري ـ نهاية الارب جـ١٨ ص٢٦ .

فالرسول الكريم يستنشد أصحابه الشعر ، ويسائلهم عنه ، ويستحسن منه ما يستحسن ، ويبدي اعجابه ، ويرشد الى مواطن الخير فيه • وكان له بصر بالشعر واطلاع عليه وحفظ له ـ وان لم يروه لقول الله تعالى فيه : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ـ وبخاصة الشعر الذي يمس قومه الاقربين ، فكان اذا أنشدوه قصيدة ، وشك في بعضها ، سائل أصحابه عن صحيحها ليعيدوها عليه ، فيقر الصحيح منها ، ويدفع ما كان باطلا فيها ، من ذلك ما ذكر أبو وداعة[1] قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه عند باب بني شيبة ، فمر رجل وهو يقول :

يا أيها الرجل المحول رحله
ألا نزلت بآل عبد الدار

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر ، فقال : « أهكذا قال ؟ » قال : « لا والذي بعثك بالحق ولكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله
ألا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك أمك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن اقراف

الخالطين فقيرهم بغنيهم
حتى يعود فقيرهم كالكافي

(١) أبو علي القالي ـ الامالي جـ١ ص٢٤١ ط الدار •

ويكللون جفانهم بسديفهم
حتى تغيب الشمس في الرجاف[1]

من هذا العرض لموقف الرسول من الشعر والشعراء ، نرى أنه عليه السلام يتخذ ذاك الموقف الذي ارتضاه القرآن الكريم ، واذا كنا لا نجد في القرآن الكريم تفصيلا لذكر الشعر والشعراء ، واذا كان ذكر الشعر والشعراء جاء في معرض التهوين والذم مستثنيا الصالحين منهم ، فاننا نجد في حديث رسول الله تفصيلا وايضاحا وتطبيقا عمليا لما يرضاه الدين أو ينهى عنه ، فالقرآن يغض من شأن الشعراء الهائمين في كل واد ، وكذلك فعل الحديث • والقرآن يستثني المؤمنين الصالحين منهم ، وكذلك فعل الرسول • فتعهد شعراء المؤمنين بالرعاية والتشجيع والتوجيه ، وجند مواهبهم في سبيل خدمة الدعوة ونشرها ، وتثبيت مفاهيمها • وقد وضع الدين معيارا جديدا لجيد الشعر أو رديئه ، ذلك النهج الخلقي الذي دعا اليه الاسلام ، فما اتفق وخلق الاسلام ووائم روح الدين ولائمه ، كان من الشعر في الصدارة ، وما خالفه وخرج عليه كان شرا مستكرها ، هو كالقيح الذي يفسد القلب •

وفي سبيل أن ينزع الاسلام من صدور الشعراء عصبية الجاهلية وضلالاتها ، وفي سبيل أن يردع الطائشين منهم ، الذين ينهشون أعراض الناس ، ويلوكون الهجاء المقذع والسب البذيء ، فقد لوح الاسلام لهم بالعقوبة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] : « من قال في الاسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر » لان الهجاء بطبيعته قذف وافتراء وهو وتعاليم الدين على طرفي نقيض •

---

(١) الرجاف : البحر • والجفان ج جفنة : القصعة من خشب • السديف : شحم السنام •

(٢) العمدة جـ٢ ص ١٧٠ • وسنجد ان عمر بن الخطاب يهدد الحطيئة بقطع لسانه مستمدا ذلك من هذا الحديث •

وقد استمد أصحاب رسول الله نظرتهم للشعر مما جاء في كتاب الله ، وما عرفوه من سيرة رسول الله ومواقفه من الشعر والشعراء ، وبخاصة الخلفاء الراشدون . وليس معنى هذا ان أصحاب رسول الله وقفوا من الشعر والشعراء مواقف متشابهة ، فهذا ما تأباه طبيعة الحياة ، فالصحابة استمدوا مواقفهم من طبيعة ايمانهم ، شدة وضعفا وهذا أمر بدهي ، فلا يمكن أن تكون نظرة أبي سفيان وعمرو بن العاص الى الشعر، مثل نظرة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ، فاختلاف النظرتين تبع لاختلاف المبدأين ، ورسوخ العقيدتين .

ونحاول فيما يلي في صفحات ، أن نبين كيف وقف اصحاب الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشعر والشعراء .

الصحابة والشعر

لن نتحدث هنا الا عن أصحاب رسول الله ، الذين مثلوا الشخصية الاسلامية الرسمية ، والمتمثلة في الخلافة . ونقف بصورة خاصة عند عمر ابن الخطاب باعتباره أكبر ناقد للشعر شهده العصر ، ولكونه ممثلا للنظرة الاسلامية الحازمة في كل امور الحياة .

فكيف كانت مواقف اصحاب رسول الله ، وخلفائه من الشعر والشعراء ؟

يروى أن الحسن البصري سئل يوما[1] : « أكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزحون ؟ قال نعم ، ويتقارضون من القريض وهو الشعر » . فأصحاب الرسول كانوا غير متزمتين ، ينظرون للشعر على انه فن من الفنون الرفيعة ، فيه متعة للحس والقلب . قال أبو سلمة[2] : « لم يكن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متحزقين ولا متماوتين كانوا يتناشدون الاشعار ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فاذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه ، دارت حماليق عينيه كأنه مجنون » . ولم يعرض اصحاب رسول الله عن الشعر ، وهو ديوان العرب ، ما دام الاسلام لم

---

(١) الفائق في غريب الحديث والاثر جـ٢ ص٣٣٩ .
(٢) نفس المصدر جـ١ ص ٢٧٥

يقطع بينهم وبين اشعار الجاهلية وآداب الماضين • وتذوق الشعر وقرضه سجية نشأوا عليها في الجاهلية ، ومارسوها في الاسلام • والذي دفعهم لهذا انهم لم يلمسوا من الدين حظرا للشعر ، الا ما قبح منه، ووجدوا ان رسول الله نفسه يستمع الشعر ويقبل على قائليه ، وكانوا اذا تناشدوا الاشعار فيما بينهم يجدون الرضا من رسول الله بسكوته عن محادثاتهم أو مناظراتهم وربما تبسم في بعض الاحيان ، حكى جابر بن سمرة[1] قال : « جالست رسول الله أكثر من مائة مرة ، فكان اصحابه يتناشدون الاشعار في المسجد واشياء من أمر الجاهلية ، فربما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم •

---

(١) الطبقات الكبير جـ٢ ص٩٥ ـ ٩٦ •

أبو بكر الصديق

فأما أبو بكر ، فهو أعلم قريش بالايام والانساب[1] حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه حسانا اليه قائلا[2] : « استعن بأبي بكر ، فانه علامة قريش بأنساب العرب » . فلما سمعت قريش هجاء حسان ، قال قائلهم : « ان هذا الشتم ما غاب عنه ابن ابى قحافة » . وقال بعضهم : « لقد قال ابو بكر الشعر بعدنا » . وكان منزل ابي بكر في الجاهلية ـ فيما يقال ـ[3] مثابة لقريش يؤمونه لخصلتين : العلم والطعام ، فلما أسلم ، أسلم عامة من كان مجالسه .

وكان أبو بكر كثير الحفظ ، واسع الاطلاع ، غزير المعرفة ، كثير التمثل بأشعار الجاهلية ، يروى منه في مواقفه ، ويستنشد الشعراء ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يسأله عن صحة ما يروى من الشعر ، كما مر بنا في رواية أبي وداعة[4] واذا أراد النبي ذكر أبيات من الشعر ، سأل أبا بكر : « كيف قال يا أبا بكر ؟ » كما حدث ذلك في اسلام كعب بن زهير ، وغير ذلك . وهذا يعني ان أبا بكر من الحفظ والتثبت بمكان كبير .

---

(١) البيان والتبيين جـ٤ ص٧٦

(٢) الاغاني جـ٤ ص١٣٨ والاستيعاب جـ١ ص٣٢١

(٣) البيان والتبيين جـ٤ ص٧٦

(٤) الامالي جـ١ ص٢٤١

وربما كان أبو بكر يستشهد خلال خطبه بأبيات من الشعر ، فقد رقي المنبر يوما وقال يخاطب الانصار[1] : « فنحن وأنتم كما قال الغنوي :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلفت
بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبَوْا أن يملونا ولو كانت امنّا
تلاقى الذي يلقون منا لملت
همُ أسكنونا في ظلال بيوتهم
ظلال بيوت أدفأت واكنت

وقد ذكرت ابنته عائشة[2] : انه لما مرض بالمدينة هو وبلال الحبشي سألته : « يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ » قالت فكان ابو بكر اذا أخذته الحمى يقول[3] :

كل امرىء مصبّح في أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وقد رويت أبيات ومقطعات لابي بكر نفسه ، فمن ذلك قصيدة في غزوة عبيد بن الحارث وهي أول سرية أرسلها رسول الله صلى الله عليه[4] :

(١) الصولي – أدب الكاتب ص١٩٠
(٢) السيرة ق١ ص٥٨٨ والعقد الفريد جـ٥ ص٢٨٢
(٣) هذا البيت لعمرو بن مامة فيما يقال .
(٤) السيرة جـ١ ص٥٩٢ والعمدة جـ١ ص٣٢ . ا لدمائث : الرمال اللينة . هروا : وثبوا كما تثب الكلاب . المجحرات : الكلاب التي اجحرت أي الجئت الى مواضعها . متتنا : اتصلنا . غير كارث : غير محزن . بلابث : بمبطىء الاثائث : الكثيرة المجتمعة . أولى : اي احلف واقسم .

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
أرقت أوامر في العشـــيرة حادثِ

ترى من لؤيٍّ فرقـــة لا يصدهـــا
عن الـكفر تذكـــير ولا بعث باعث

رسول أتاهـــم صـادق فتكذبوا
عليـــه وقالوا : لســت فينـــا بماكث

اذا ما دعوناهـم الى الحـــق أدبروا
وهروا هرير المحجرات اللواهث

فكم قد متتنـــا فيهم بقرابـــة
وترك التقى شيء لهـم غـــير كارث

فان يرجعوا عن كفرهـــم وعقوقهم
فما طيبـــات الحـــل مثـل الخبائث

وان يركبـــوا طغيـانهم وضلالهـــم
فليس عـذاب للـــه عنهـــم بلابث

ونحن اناســـ من ذؤابـــة غالبٍ
لنـــا العز منهـــا في الفروع الاثائث

= الراقصات : الابل ، والرقص : ضرب من المشى • حراجيج : طوال الواحد حرجوج ، ويروى : عنا جيج بمعنى حسان • السريح : قطع من جلد تربط في أخفاف الابل مخافة أن تصيبها الحجارة • الرثائث : البالية • الادم من الظباء : السمر الظهور ، البيض البطون • عكف : مقيمة • النبائث : ج نبيثة وهي تراب يخرج من البئر اذا نقيت • الطوامث : ج طامث وهي الحائض • تعصب الطير : تحيط وتجتمع • ابن حارث : هو عبيدة بـــن الحارث • تشعثوا : تغيروا وتفرقوا •

فأولى بــــرب الراقصات عشـــية
حراجيج تُحدى في السريح الرثائث

كأدم ظباء حول مكـــة عكف
يردن حيـــاض البئـر ذات النبائث

لئن لم يفيقوا عاجـلا من ضلالهـــم
ولست اذا آليت قـــولا بحانث

لتبتدرنهم غـــارة ذات مصـــدق
تحرم أطهـــار النســـاء الطوامث

تغادر قتلى تعصب الطير حولهم
ولا ترأف الـكفار رأفَ ابن حارث

فأبلغ بني ســـهم لديـــك رســـالة
وكل كفور يبتغى الشـر باحث

فان تشعثوا عرضى على ســـوء رأيكم
فانى من اعراضكم غـــير شاعث

ويروى ان عبدالله بن الزبعرى رد عليها بنقيضته التي يقول فيها(١) :

أمن رســـم دار اقفـــرت بالعثاعث
بكيت بعين دمعهـــــا غير لابث

ومن عجب الايـــام والدهـــر كلــه
لـــه عجب من ســـابقات وحـــادث

(١) السيرة ق١ ص٥٩٤ • العثاعث : أكداس الرمل التي لا تنبت شيئا ، واحدها عثعث • غير لابث : غير متوقف • العرام : الكثرة والشدة • الهياج : الحرب •

لجيش أتانا ذى عـــرام يقـــوده
عبيدة يدعى في الهيـــاج ابن حارث

لنترك أصنـــاما بمكـــة عكفـــا
مواريث موروث كريـم لوارث

ويستمر فيها الى أن يقول :

فأبلـــغ أبـــا بكر لديـــك رســـالة
فمـــا أنت عن اعرض فهرٍ بماكثِ

ولمـــا تجب مني يمـــين غليظـــة
تُـجدد حربـــا حلفـــة غـير حانث

ونحن اذ نثبت هنا ما روي لابي بكر ، وشيئا مما روي لابن الزبعرى ، لا لاننا نرجح صحتهما، بل على العكس، نؤكد وضعهما كماقد أشار ابن هشام بقوله : « وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لابى بكر رضى الله عنه »[١] . وكذلك قال في قصيدة ابن الزبعرى[٢] .

واننا نتحفظ في أكثر ما يروى لابي بكر من الشعر ، وفيما يروى للصحابة وآل بيت الرسول بعامة ، ذلك ان مجال الشك فيما ينسب اليهم واسع كبير ، فقد يعز على العامة ، ويعظم في نفوسهم ، أن لا تكون للصحابة آثار في شعر الجاهلية ، أولا يكون لهم نصيب من الشعر في سبيل الاسلام . فيذهب الرواة - ارضاء لاهواء العامة - يزيفون القول ، ويديرون مقطعات وقصائد ، ثم ينحلونها أصحاب رسول الله وأهل بيته . لذلك نجد في السيرة الكثير مما ينسب باطلا اليهم . فمن ذلك ان ابن اسحق ينســب

(١) السيرة ق١ ص٥٩٢
(٢) نفس المصدر ص ٥٩٤

ـ في غير جزم ـ مقطوعة عبد الله بن جحش الى أبي بكر ، والتي أولها[1] :

تعدون قتلا في الحرام عظيمة
وأعظم منه لو يرى الرشد راشد

مع أن السيدة عائشة كانت تقول : « كذب من أخبركم ان أبا بكر قال بيت شعر في الاسلام » •

على انه اذا كانت بعض الاشعار تحمل على الصحابة ، فان ذلك لايمنع أن تكون لهم أبيات تأتي عفو الخاطر ، أو تدعوها المناسبة ، أو حين يهزهم حدث ضخم • فقد رويت لابي بكر ثلا ثقطع من الشعر في رثاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقرب هذه القطع الى الصحة ، وأصدقها تعبيرا ، وأسلسها نظما ، قوله[2] :

يا عين فابكي ولا تسأمي
وحق البكاء على السيد

على خير خندف عند البلا
ءِ أمسى يغيب في الملحد

فصلى المليك وليُّ العباد
ورب البلاد على أحمد

فكيف الحياة لفقد الحبيب
وزين المعاشر في المشهد

فليت الممات لنا كلنا
وكنا جميعا مع المهتدي

---

(١) السيرة ق١ ص٦٠٥ ـ ٦٠٦
(٢) ابن سعد ـ الطبقات الكبير جـ٣ ص ١٣٥

عمر بن الخطاب

وعمر بن الخطاب أشهر الصحابة ميلا للشعر ، ونقدا له وحكما عليه ، وتمثلا به ، كان له ذوق وبصر وحفظ كثير ، حتى قيل[١] : « كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر » • ويروى انه قيل له[٢] : « قيل للأوسية : أي منظر أحسن ؟ فقالت : قصور بيض ، في حدائق خضر » فأنشد عند ذلك عمر بيت عدى بن زيد العبادى :

كدمى العاج في المحاريب أو كالـ
ـبيض في الروض زهره مستنير

وكان أحب الشعر الى نفس عمر ، شعر زهير بن أبى سلمى ، لما فيه من حكمة وموعظة ، ودعوة للخير والخلق الرفيع ، وتحري الصدق ومجانبة الغلو والاسراف في المديح والهجاء ، وتلك شمائل يحبها الاسلام • قال عبدالله بن عباس[٣] : « قال لي عمر بن الخطاب : أنشدني قول زهير ، فأنشدته قوله في هرم ابن سنان بن حارثة حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حيث تنسبهم
طابوا وطاب من الافلاذ ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

(١) الجاحظ ـ البيان والتبيين جـ١ ص٢٤١
(٢) نفس المصدر جـ١ ص٢٤٥
(٣) العقد الفريد جـ٨ ص٢٩١

جنٌ اذا قرعوا أنس اذا أمنوا
مرزؤون بهاليل اذا احتشدوا

محسدون على ما كان من نِعمٍ
لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

فقال له عمر : ما كان أحب الي لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم • فعمر يعجبه هذا اللون من المديح ، الذي يتغنى بالفضائل بشكل هادىء محبب ، يدخل القلوب قبل الآذان ، حتى ان عمر ليضن بهذا الضرب من الشعر على الناس ، فيتمناه لاهل بيت رسول الله ، فهم أهل لذلك ، وتلك أوصاف توافق خصالهم وشمائلهم •

وكان عمر اذا أُنشد قول زهير :

وان الحق مقطعه ثلاث
يمين أو نفار أو جلاء(١)

قال كالمتعجب : « ومن علمه بالحقوق ، وتفصيله بينها ، واقامته أقسامها ؟ » ويردد الابيات ••• فكذلك كان يحكم الاسلام : « البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر » واعجاب عمر يتأتى من موافقة قول زهير لحكم الشرع ومبادىء الدين الحنيف • وصدق رسول الله حين قال : « ان من الشعر لحكمة » وقد علق بعض المتقدمين بقوله(٢) : « لو ان زهيرا نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعري في القضاء ، ما زاد شيئا على ما قال » •

وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة ، التي على اللام ، فلما بلغ المنشد قوله :

---

(١) يريد يمينا أو منافرة الى حاكم يحتكمون عنده ليبين وجه الحق أو جلاء وهو البرهان يجلو وجه الحق ويوضح الدعوى •

(٢) انظر خزانة الادب ج٢ ص١٢٨

والمرءُ ساعٍ لشيء ليس يُدركُـــه

والعيش شُـحٌّ واشـفاق وتأميـــلُ

قال عمر متعجبا من سليقة هذا الاعرابي : والعيش شح واشفاق وتأميل ، ويعجبهم من حسن ما قسم وفصل .

وأنشده منشد قصيدة أبي قيس بن الاسلت ، وهو ساكت . فلمـا انتهى الى قوله :

الـكَيسُ والقـــوة خـــير من الـ

اشـــفاق والفهّـــة والهـــاعِ

أعاد عمر البيت يتعجب منه . وانظر الى هذه المحاورة الدالة ، ففي رواية ان عمر سأل ابن عباس قال : هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قال ابن عباس فقلت : ومن هو ؟ قال : الذي يقول :

ولو أن حمدا يُخلد الناس أخلدوا

ولـكن حمـــد الناس ليس بمخلدِ

قلت ذاك زهير ، قال : فذاك شاعر الشعراء . قلت : وبِمَ كان شـــاعر الشعراء ؟ قال : « لانه كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشـــي الشعر ، ولم يمدح أحدا الا بما فيه .. » ثم قال : أنشدني ، قال ابـــن عباس فأنشدته حتى برق الفجر[1] . وعمر لا يخفي سبب اعجابه بشعر زهير وتفضيله اياه ، فهو يتوسم فيه ـ فيما يتوسم ـ الصدق الذي أمر به الاسلام ، واليسر الذي يساير طبيعة الدين السمح .

وعلى ذكر زهير ومديحه ، فان واحدا من أبنائه جاء الى المدينـــة فسأله عمر : « ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحلل التي كساها أبوك هرما ، لم يبلها الدهر » . ويقال ان

---

(١) أنظر تمام الرواية في الاغاني جـ١٠ ص٢٨٨ ـ ٢٩١ والشعر والشعراء جـ١ ص٩٣ والفائق جـ٢ ص١٦٥

عمر سأل بعض ولد هرم بن سنان ، قال : أنشدني بعض مدح زهير أباك ؟ فأنشده فقال عمر : انه كان ليحسن فيكم المدح ، قال : ونحن كنا لنحسن له العطية ، قال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما عطاكم »[١] .

من كل هذه النصوص المتقدمة ، تبين لنا بوضوح وجلاء نظرة عمر للشعر ، ونجد انه انما يعجب بشعر زهير في الاسلام ، لبعده عن الغلو والاسراف في مدح الناس ، والقصد في حكمه عليهم ان حمدا وان ذما ، فبذلك أمر الاسلام . فالاسلام دين القصد والاعتدال . وقد سمع النبي رجلا يثني على رجل ويكثر من مديحه ، فقال : « أهلكتم الرجل » أو « قطعتم ظهر الرجل ، والله تعالى يقول : (فلا تزكوا أنفسكم) » .

فعمر اذن كان يعجبه من الشعر ما وافق الاسلام ، وكان صدى لتعاليمه ، وقبسا من هدايته ، وحرص عمر يتضح في كل ما سيرد له من أخبار ، ونكتفي هنا بذكر حادثتين فيهما من الدلالة على الحرص والتأكيد على المعاني الدينية ما يغني عن تقصي الشواهد والامثلة . فأما الحادثة الاولى فترد مع سحيم بن وثيل عبد بني الحسحاس ، حيث أنشده[٢] :

عميرة ودع ان تجهزت غاديا
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر : لو كت قدمت الاسلام على الشيب ، لاجزتك . وهذا يعني — فيما يعنيه — ان عمر كان يثيب الشعراء بشعرهم الذي يمجد الاسلام ، ويدعو اليه .

أما الرواية الثانية : فهي مع حسان بن ثابت بعد وقعة أحد ، فقد

(١) البغدادي — خزانة الادب جـ٢ ص٢٩٢ وانظر مع خلاف بسيط في الرواية ما جاء في العمدة لابن رشيق جـ١ ص٨١ .
(٢) المبرد — الكامل جـ١ ص٣٧٢ والاغاني جـ٢٠ ص٢ — ٣ ط سامي وديوان سحيم ص١٦ ط دار الكتب .

كان يحرضه على قول الشعر في أعداء الاسلام ، حيث قال[1] : « يا ابن الفريعة لو سمعت ما تقول هند ، ورأيت أشرها[2] قائمة على صخرة ترتجز ، وتذكر ما صنعت بحمزة » (عم رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال له حسان : « والله اني لانظر الحربة تهوى وأنا على رأس فارع – يعني أطمه – فقلت : والله ان هذه السلاح ما هي بسلاح العرب ، وكأنها انما تهوى الى حمزة ولا أدري ، ولكن أسمعني بعض قولها أكفكموها » . فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت ، فعندها قال حسان :

أشرت لكاعِ وكان عادتُها
لؤما اذا أشرت مع الكفرِ

فهذه المواقف التي يتخذها عمر من الشعر والشعراء ، انما كانت اقتداء بمواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتزاما بخط الدعوة وهدى الاسلام ، فاذا ما وجد في شعر الشاعر روحا من الايمان ، أو قبسا من تعاليم الدين ، نبه على ذلك وأعجب ، وحفظ وسأل الناس عن صاحب الشعر فأثنى عليه وفضله ، فقد سأل وفد غطفان حين قدموا عليه : من الذي يقول[3] :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة
وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : نابغة بني ذبيان . قال : فمن الذي يقول هذا الشعر ؟

أتيتك عاريا خلقا ثيابي
على وجل تظن بي الظنون

---

(١) السيرة ق٢ ص٩٢ – ٩٣ والاغاني جـ١٥ ص١٩٨
(٢) الاشر – البطر .
(٣) العقد الفريد جـ٦ ص١٢٠ – ١٢١ والاغاني جـ١١ ص٤ – ٥

فألفيت الامانة لم تخنها
كذلك كان نوح لا يخون

قالوا هو النابغة ، قال هو أشعر شعرائكم •

تلك نظرة عمر الذوقية للشعر ، تمليها عليه عاطفته الدينية ، أما نظرة عمر النقدية للشعر ، فنحاول أن نتبينها ، ونستوضح حدودها ، من خلال سيرته مع الشعراء ، ومن أحكامه وآرائه في الشعر •

تعتبر أحكام عمر في الشعر ، من القواعد الاولى في تاريخ النقد الادبي عند العرب • فأحكام عمر تتسم بالنضوج والنظر الثاقب ، فهو يعتمد في أحكامه على تعليل سبب الجودة وسر الجمال ، لا على ما كانت تمليه أحكام النقاد الجاهليين ، ـ اذا صح اطلاق الكلمة ـ المعتمدة على العواطف الآنية ، والاثر السريع ، فيكون عندهم ان فلانا أشعر الناس لقوله كذا ، وفلانا أجود الناس لقوله كذا ، هجاء أو مديحا أو وصفا ، دون بيان العلة وذكر الاسباب • أما عمر فأحكامه مبنية على أمور مادية محسوسة ، وحجج بينة ، فقد مر بنا رأيه في تفضيل زهير وتقديمه ، لانه : « كان لا يعاظل في الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ، ولم يمدح أحدا الا بما فيه »[١] •

فعمر يقرر هنا ، ان عيوب الشعر الفاحشة ثلاثة : المعاظلة وهي أن يركب الكلام بعضه بعضا ، فينعقد ويغرب عن الافهام ، ويمجه الذوق • والبعد عن الشعر الجافي الغليظ ، الذي تمله الاذهان وتنفر منه النفوس • أما الصدق في الشعر ،ومجانبة الغلو في المديح ، فتلك سجية خلقية تحب في الشاعر • ونلاحظ ان عمر ، يحب البساطة في التعبير والنظم وصياغة الكلام •

---

(١) الاغاني جـ١٠ ص٢٨ ـ ٢٩

وقد درج النقاد على اتباع احكام عمر في النقد ، وصارت احكامه مقياسا عاما يقاس به جيد الشعر من رديئه . وحكم آخر لعمر في الموازنة بين الشعراء ، وبيان سبب تفضيله امرىء القيس ، فقد أجاب حين سئل ، قال [1] : « امرؤ القيس سابقهم ، خسف لهم عين الشعر فافتقر الى معان عور اصح بصر » . اي ان امرأ القيس اول من فتق صناعة الشعر ، وابتكر المعاني الجيدة .

اما رأى عمر في ضعف الشعر ، فقد كان وما زال المتكأ الذي يعتمد عليه كل من اخذ بنظرية ضعف الشعر ، وضياعه ، وذلك قوله [2] : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه » . ويعقب ابن سلام بقوله : « فجاء الاسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته . فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر ، فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، والفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك ، بالموت والقتل، فحفظوا اقل ذلك ، وذهب عليهم منه كثير » .

وثمة آراء لعمر مبثوثة في كتب الادب ، في الحكم على جيد الشعر ونقده ، والدعوة لتعلمه وحفظه . فمن ذلك قوله [3] : « الشعر جزل من كلام العرب ، يسكن الغيظ ، وتطفأ به الثائرة ، ويتبلغ به القوم في ناديهم ، ويعطي به السائل » وقوله في فضل الشعر وفائدته : « افضل صناعات الرجل ، الابيات من الشعر يقدمها في حاجاته ، يستعطف بها قلب الكريم ، ويستميل بها قلب اللئيم » .

ولم تكن آراء عمر ونظرته للشعر ضربا من الرأى ، يأتيه عفو

---

(١) الاغاني جـ٨ ص١٩٩
(٢) طبقات الشعراء ص٢٢
(٣) العقد الفريد جـ٥ ص٢٧٤ و ٢٨١

الخاطر ، او يلقيه بين الناس ، دون ان يبوىء لهذه الآراء مكانتها العملية عندما يصبح اميرا للمؤمنين ، فنجد ان عمر يلزم نفسه بتوجيه الفن الادبي ، تبعا لطبيعة الشريعة الاسلامية وخدمة الدين ، فكان يأمر عماله ان يدعوا الناس الى تعلم الشعر ، ففيه معالى الاخلاق ، ومعرفة الانساب ، وصواب الرأى ، كما جاء في رسالته الى ابى موسى الاشعري[1] . ومن حرصه على ان يتجه شعراء المسلمين ، وجهة تتلائم وطبيعة الاسلام ، انه كان يستعلم عما احدث الشعراء في الاسلام ، وليتبين من ناحية اخرى مدى تجاوب الشعراء وتمثلهم للحياة الاسلامية الجديدة فيعرف من استجاب منهم لداعي الاسلام ، ومن ظل منهم جاهليا في تفكيره وفنّه . ففي رواية الشعبي ، انه قال[2] : « كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة : ان استنشد من قبلك من شعراء مصرك ، ماذا قالوا في الاسلام ؟ فارسل الى الاغلب العجلى الراجز فقال له ، انشدني ، فقال :

أرجزا تُريد أم قصيدا
لقد طلبتَ هيّنا موجودا

ثم ارسل الى لبيد فقال : انشدني ، فقال : ان شئت ما عفى عنه ـ يعني الجاهلية ـ فقال : لا ، انشدني ما قلت في الاسلام . فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم اتى بها ، وقال : « ابدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر » ، فكتب بذلك المغيرة الى عمر ، فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد ، فكان عطاؤه الفين وخمسمائة » .

وعمر هنا اذ يثيب لبيدا ، يريد ان يوجه الشعراء الوجهة التي يرتضيها الاسلام ، ولا يعني انه يشجعه على هجر الشعر ـ كما قد يذهب

(١) العمدة جـ١ ص٢٨ ـ ٢٩
(٢) الاغاني جـ١٤ ص٩٤ وانظر كذلك الشعر والشعراء ص٩٨ وطبقات الشعراء ص١١٣

الظن ـ بل ان عمر ليكبر في لبيد انصرافه الى القرآن الكريم ، وتفضيله اياه على ما سواه ، وان كان لبيد في ارجح الظن ، قد فطن لرغبة عمر ، فأجابه بما يحسن ان يجاب به ، لان لبيدا لم يترك الشعر على ما يشاع عنه وان كان شعره قد قل في الاسلام(١) .

وعمر اذ يحرص على رعاية الشعر وتوجيهه ، انما يحرص على خلق الامة ، والتزامها بمكارم اخلاقها ، واتباع الحكمة في بليغ القول . ثم ان الشعر ـ والجاهلي منه بخاصة ـ مصدر هام في تفسير القرآن الكريم ، يقول عمر في ذلك : « عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم » . وقريب من هذا قول ابن عباس وهو من اوائل المفسرين ـ ان لم يكن اولهم جميعا ـ : « اذا قرأتم شيئا من كتاب الله ، فلم تعرفوه ، فاطلبوه في اشعار العرب ، فان الشعر ديوان العرب . (٢) وكان اذا سئل عن شيء من القرآن ، أنشد فيه شعرا . (٣) وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب ، فاذا لم يحضره شيء من ذلك سأل الناس ، فقد سأل يوما عن معنى التخوف ، في قوله تعالى : « او يأخذهم على تخوف » فقام رجل من الحاضرين ـ من هذيل ـ يفسر له الكلمة بقوله : التخوف عندنا التنقص ، ثم ينشد : (٤)

تخـــوف الرحـــلُ منها تامكا قردا
كما تخوفَ عود النبعةِ السفنُ (٥)

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابنا (لبيد بن ربيعة العامري)
(٢) انظر الطبراني جـ٧ ص١٢٩
(٣) العمدة جـ١ ص٣٠
(٤) تفسير البيضاوي سورة النحل آية ٤٦
(٥) التامك : السنام ، والقرد : السمين أو كثير القردان ، والسفن : كل ما ينحت به حديدة أو حجر أو نحوهما .

والشعر في حياة عمر القضائيـــة ، يساهم مساهمة فعالة في نشـــر العدالة الاجتماعية ، التي دعا اليها الاسلام ، والتي عرف بها عمر رضي الله عنه ، وكانت خبرة عمر في الشعر قد آتت اكُلها ، في احقاق الحـــق ، وردع الطائشين من شعراء السب والهجاء • ونحاول هنا ان ندعم زعمنـا هذا ، في عرض جانب من اخبار عمر مع الشعراء :

سئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمر بن الخطاب عمـــا له ؟ فقال : اموال كثيرة ظهرت عليهم ، وان شاعرا كتب اليه يقول : (١)

نحج اذا حجُّوا ونغـــزوا اذا غَزوا
فأنى لهـم وفرٌ ولسنا بـــذى وفرِ
اذا التاجرُ الهنـدي جـــاء بفـارةٍ
من المسكِ راحت في مفارقهم تَجري
فدونك مالَ اللهِ حيثُ وجدتَـــه
سيرضون ان شـاطرتهم منك بالشطر

قال فشاطرهم عمر اموالهم •

وكان لامية بن حرثان ولد اسمهُ كلاب ، هاجر الى البصرة تاركـا ابويه العجوزين ، فقال امية : (٢)

سأسـتعدي عـلى الفـاروق ربـــا
لـــه عمـــد الحجيـــجُ الى بُساقِ
ان الفـاروق لـــم يـردد كلابـــا
على شيخـــين هامهمـــا زواقى (٣)

---

(١) العقد الفريد جـ٥ ص٢٨١
(٢) العمدة جـ١ ص٥٨
(٣) بساق : جبل بعرفات وبلد بالحجاز • الهامة : رأس الميت يريد أن موتهما قريب •

وكذلك تروى لامية ابيات ، فيها رقة وحنان وعاطفة ، وأثر من هدى الاسلام ، في مناشدة ابنه كلاب ، أن يتدبر ما في كتاب الله من رعاية الآباء والبر بهم ، يقول : (١)

لمن شيخان قد نشدا كلابا
كتابَ اللهِ ان حفظ الكتابا

اذا هتفت حمامةُ بطنِ وَجٍ
على بيضاتها ذكرا كِلابا

تركتَ أباك مرعشةً يداهُ
وأمكَ ما تسيغُ لها شرابا

فكتب عمر الى ابي موسى الاشعري باشخاص كلاب ، فما شعر أمية الا به يقرع الباب •

ولم تكن هذه هي الحادثة الوحيدة التي ينشد فيها عمر من قبل الآباء فيرق قلبه ، ويجمع بين الابن وأبيه ، فقد كان المخبل السعدى ، قد اشتد به الحنين حتى جزع لفراق ولده شيبان ، حين لحق بسعد بن ابي وقاص في حرب الفرس ، فمضى الى عمر بن الخطاب يشكو اليه حاله وضعفه وشيخوخته ، وحنينه الى ابنه ، فقال من أبيات : (٢)

اذا قال صحبى ياربيعُ ألا ترى
أرى الشخص كالشخصين وهو قريب

ويخبرني شيبان أن لن يعقني
تعقٌ اذا فارقتني وتحوبُ

---

(١) طبقات الشعراء ص ١٦٠ وخزانة الادب جـ٢ ص ٥٠٥
(٢) الاغاني جـ ١٣ ص ١٩٠ ط دار الكتب •

فرق له قلب عمر ، وكتب الى سعد ان يرد شيبان الى ابيه ، فكان معه حتى مات •

وكانت شدة عمر وحزمه اشد ما تكون على الشعراء الذاهبين مذاهب الجاهلية ، من هجاء وتعريض باقدار الناس ، وتلويح بالشتيمة • هذا رجل من مزينة يمر برجل من الانصار ، فيعرض المزنى بامرأة الانصاري ، فيتمثل ببيت علقمة الفحل : (١)

هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ

ام حبلُها اذ نأتكَ اليومَ مصرومُ ؟

فيستعدى رب البيت عليه عمر بن الخطاب ، فيسأله عمر : ما اردت؟ قال : شعرا قال : قد كان له موضع غير هذا ، ثم امر به فحد • فقد ادرك ان الرجل لا يريد بالشعر الا اساءة وتعريضا بشرف الانصاري ، وذلك يتنافي ومبادىء الاسلام ، فالحد جزاء من يتناول اعراض المسلمين بالقذف والتشهير •

وتكاد الروايات تجمع ، على أن عمر لم يدع للشعراء متنفسا فيه خروج على تعاليم الاسلام ، ولم يتهاون في اخذ الناس بالعقوبة ، وبالعقوبة الشديدة الرادعة • من ذلك انه عزل النعمان بن عدى بن نضلة واليه على ميسان ، لابيات قالهن ترفيها عن نفسه :

من مبلغُ الحسناء أن حليلها

بميسانَ يسقى في زجاج وحنتم

اذا شئت غنّتنى دهاقينُ قريةٍ

وصنّاجة تجثو على كل منسم

(١) طبقات الشعراء ص١١٧

فان كنت ندمـــاني فبالأكبـر اسقني
ولا تسـقني بالاصغـر المتثـــلم

لعـــل امـيرَ المؤمنـين يسوؤه
تنادمنـا في الجوســق ِ المتهـــدم

فلما بلغ عمر قوله ، قال : نعم والله ، انه ليسوؤني ، من لقيـــه فليخبره أني قد عزلته • وقد اعتـذر الى عمر بانه امرؤ شاعر ، وقـــد جرت على لسانه ابيات لا يريد بها شيئا • الا أن هذا العذر لم ينفعـــه ، وحرمه العمل حياته (١) •

وقد جلد عمر ابا محجن الثقفي ونفاه من المدينة ، لقوله : (٢)

اذا متُ فادفني الى أصـل ِ كرمـة ٍ
تُروي عظامي بعـــد موتي عروُقها

ولا تدفننـــي بالفـــلاة ِ فانـــي
اخـــافُ اذا ماُمت ألا اذوقُهـــا

وسمع عمر في احدى الليالى ، وكان يطوف في طرقات المدينة ، امرأة تنشد : (٣)

هل من سبيل الى خمر ٍ فاشربُهـــا
أم هل سبيل الى نصر بن ِ حجاج ٍ ؟

الى فتى ماجـــد الاعـراق مقتبـــل ٍ
سهل ِ المُحيا كريم ٍ غـير ملجـــاج ِ

---

(١) ابن الجوزي ــ تاريخ عمر بن الخطاب ص ١١٦
(٢) الشعر والشعراء ص ١٦٢ وديوان ابى محجن ص ١٨
(٣) تاريخ عمر بن الخطاب ص ٨٤

تـِميهِ آباءُ صدقٍ حـــين تنسبه

اخو قداحٍ عن المعـــروفِ فرّاجِ

فدعا عمر نصر بن حجاج ، فسيره الى البصرة ، لئلا تفتتن بـــه النساء لجماله •

وكان من حزم عمر وورعه ، انه لا يزدهيـــه المديح ـ وقد يردع قائله ـ اذا كان فيه تجاوز او خروج عن القصد ، سمع راكبا ينشد وهـو في طريقه الى الحج : (١)

ما ساسنا مثلـــك يابن الخطـــاب

أبرّ بالاقصـــى ولا باصحـــــاب

بعـــد النبي صاحب الكتـــاب

فنخسه عمر بمخصرة معه ، وقال : فأين ابو بكر ؟

ومع كل ما تقدم من تشديد عمر على الشعراء ـ الذين يحنـــون لعوائدهم في الجاهلية ، فيشتطون ويتناولون الناس بالسنة حداد ـ فانـــه لا يستبد برأيه ، او يحكم بفهمه ، دون ان يستشير خبيرا في قضايا لا يظهر جرمها واضحا دون بينة ودليل ، فهو يلجأ الى الشعراء انفسهم لتفسير مـا قد يغمض ويلتبس ، فيكون حكمه بذلك وهو يحكم عادلا مطمئنا الـــى انه لم يتجاوز القصد ، ولم يتخط التشريع ، وليبرىء ذمتــه من التأويل والتخريج الذي يلوذ به الشعراء ، تخلصا من العقوبة • ثم ليكون الحكم من ناحية اخرى مقنعا لكل الاطراف المتنازعة ـ كما يقولون ـ ولدينا من ذلك حادثتان ، كان حسان حكما في كلتيهما :

فأما الحادثة الاولى ، فقد قيل : ان الحطيئة كان قد جاور الزبرقان

---

(١) تاريخ الطبري جـ٢ ص٢٧٦٦ ط اوربة •

ابن بدر ، فلم يحمد جواره ، فتحول عنه الى بغيض بن عامر الذي اكرم جواره ، فقال الحطيئة يهجو الزبرقان ويمدح بغيضا :[1]

ما كان ذنب بغيض ان رأى رجلا
ذا حاجةٍ عاش في مستوعرٍ شاسِ
جارا لقوم اطالوا هُونَ منزلِه
وغادروه مقيما بين ارماس
ملّوا قراه وهرّته كلابُهم
وجرّحوه بانيابٍ واضراس
دع المكارمَ لا ترحل لبُغيتها
واقعد فانّك انت الطاعمُ الكاسي

فاستعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب ، وانشده قوله (دع المكارم ...) فقال عمر : ما اعلمه هجاك ، اما ترضى ان تكون طاعما كاسيا ؟ قال : انه لا يكون في الهجاء اشد من هذا ، ثم ارسل الى حسان بن ثابت فسأله عن ذلك فقال : لم يهجه ولكنه سلح عليه . فحبسه عمر قائلا : يا خبيث لأشغلنك عن اعراض المسلمين . وقد اطلقه عمر من الحبس ، بعد ان توسل اليه واستعفاه واستعطفه بابياته المشهورة :[2]

ماذا تقول لأفراخٍ بذى مرخ
حمرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

---

(١) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٨٧ . مستوعر : المكان الموحش المخيف الصعب . شاس : صلب غليظ . الارماس : القبور القرى : طعام الضيف . هرته : نبحته ووثبت عليه . الطاعم الكاس : المطعم المكسو .

(٢) ديوان الحطيئة ص ٢٠٨ ط مصر سنة ١٩٥٨ . ذو مرخ : واد بالحجاز . زغب الحواصل : لم ينبت على حواصلهم سوى الزغب القصير كناية عن صغرهم وانهم لا يقوون على الطيران .

غيّبت كاسبهم في قعـــر مظلمـــة
فاغفر عليـك ســلام الله ياعمـــر

انت الامـين الذي من بعد صاحبـه
القت اليـك مقاليـد النهـى البشـر

لم يؤثروك بهـا اذ قدمـــوك لهـا
لكن لانفســهم كانت بهـــا الأثر

واوصاه قائلا [١] : « ايّاك والهجاء المقذع » قال الحطيئة : ومـا المقذع يا امير المؤمنين ؟ قال : « المقـــذع ان تقول هؤلاء افضل من هؤلاء واشرف ، وتبني شعرا على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم • فقال : « انت والله يا امير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر » •

على ان الحطيئة ظل في عهد عمر ساكتا على مضض ، وقد ساءه ان تُكَمّ نزعاته وتكبت شهواته ، وقد كان لسانه مصدر رزقه وثرائه ، وسبب قوته ، وخير ما يفصح عن شعوره هذا وضيقه بشدة عمر ، قوله : [٢]

واخذتَ اطرافَ الكـلامِ فلم تدعْ
شتما يضرُّ ولا مـديحـا ينفـعُ

وحميتني عرضَ اللئيـمِ فـلم يخف
ذمّي واصبحَ آمنـا لا يفــزع

اما الحادثة الثانية : فما روى من هجاء النجاشى الحارثي لبني العجلان فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب ، فسألهم عمر بروحه الاسلامية المترفعـة عن النزعة الجاهلية في فهم الشعر : ما قال فيكم ؟ فانشدوه : [٣]

---

(١) العمدة جـ ٢ ص ١٧٠
(٢) الاغاني جـ ٢ ١٨٥ ط الدار
(٣) الشعر والشعراء جـ ١ ص ٢٩١

اذا الله عادى أهــلَ لؤمٍ ورقــةٍ
فعادى بني العجلان رهطَ ابن مقبلِ

فقال عمر : انما دعا ، فان كان مظلوما استجيب له ، وان كـــان ظالما لم يستجب له . قالوا : وقال ايضا :

قبيلـــة لا يغـــدرون بذمـــةٍ
ولا يظلمـــون الناس حبةَ خردلِ

فقال عمر : ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقال :

ولا يـــردون المـــاءَ الا عشـــيةً
اذا صدر الورادُ عن كـلِ منهــل

قال عمر : ذلك اقل للكاك[1] . قالوا : وقد قال ايضا :

تعاف الكلابُ الضـاريات لحـومَهم
وتأكلُ من كعبٍ وعوف ونهشـلِ

فقال عمر : أجنّ القومُ موتاهم ، فلم يضيعوهم .
قالوا : وقد قال :

وما سمى العجـــلانُ الا لقيلهـــم
خذ القعبَ واحلبأيـّها العبدُ واعجلِ

قال عمر : خير القوم خادمهم ، وكلنا عبيد الله .

وعمر هنا ينظر للشعر نظرته الاسلامية ، حيث التسامح والعفـــو والتواضع والتقوى ، وهو لا يريد هنا ان يخرج الهجاء مخرج المـــدح ، بقدر ما يريد ان يثبت في نفوس الناس نظرة الاسلام للسلوك ، مستبــعدا

---

(١) الكاك ــ الزحام

تفسير الجاهلية ومثلها • ومع كل ذلك فهو يعرف ان وقع الهجاء في نفوس القوم شديد ، وان مثل الجاهلية ما زالت متمكنة من قلوبهم ، لما يستطع الاسلام بعد ان ينتزعها ، الا من قلوب القلة المؤمنة من المهاجرين والانصار، ولذلك فقد بعث عمر الى حسان بن ثابت ليقول في ادانة النجاشي وحين يثبت قصد النجاشي السيء ، يتوعده عمر بقوله : « ان عدت قطعت لسانك » (١) •

كانت نظرة عمر للشعر مستمدة من روح الاسلام ، ومصلحة المسلمين ، فالشعراء مقدمون مكرمون ، ما داموا يذودون بشعرهم عن الاسلام ومثله العليا ، ويقفون بوجه شعراء مكة ، يوم كانوا اعداء مشركين ، اما بعد فتح مكة ، ومجيء النصر ، ودخول مكة في دين الله حيث اصبح اعداء الامس اخوان اليوم ، بفضل الاسلام ، فالشعر في هذه الفترة لم يعد سلاحا صالحا ، ليشهر ضد قريش ، وصارت العودة الى شعر المناقضات الحربية بين مكة والمدينة ، او بين قريش والمسلمين ، صارت اثارة للاحقاد ، وبعثا للميت الذي واراه الاسلام • فكان طبيعيا ــ في هذه المرحلة ــ ان يقف عمر بوجه الشعر الذي يذكر قريشا بكفرها ، او يذكر الانصار والمهاجرين بشتيمة قريش لهم ، فينهى عمر عن ذكر ما كان بين الفريقين ، دفعا للتضاغن وبث القبيح •

الا ان الروح الجاهلية المتأصلة في نفوس القوم ، تأبى الا العودة الى احقاد الماضي الرهيب ، فكان من نتائج ذلك : أن اراد عبدالله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب ، ان ينفسا عن صدريهما ، ويتمتعا باغاظة خصمهما السليط حسان ، فيأتيا الى المدينة ، وينزلا على ابى احمد عبد بن

---

(١) الشعر والشعراء جـ١ ص ٢٩١ وانظر كذلك البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٣٩

جحش الشاعر[1] ، ويطلبا منه ان يدعو حسانا ، فيدعوه ويقول لـــه : يا أبا الوليد ، هذان اخواك ابن الزبعرى وضرار ، قد جاءا يريـــدان ان يسمعاك وتسمعهما ما قالا لك وقلت لهما . فقال ابن الزبعرى وضرار : نعم يا ابا الوليد : ان شعرك كان يحتمل في الاسلام ولا يحتمل شعرنا ، وقد احببنا ان نسمعك وتسمعنا . فقال حسان : أفتبدأان أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن ، فأنشداه حتى فار ، فصار كالمرجل غضبا ، ثم استويا عـــلى راحلتهما يريدان مكة ،[2] دون ان يتمهلا لينفس عما في صدره مـــن غيظ . ثم يسرع حسان الى عمر بن الخطـــاب ، ليقص عليـــه لعبتهما ، فيطمئنه عمر ، أن : « لن يذهبا عنك بشيء ان شاء الله » . ويبعث عمـر في اثرهما من يردهما ، وفي ملأ من الناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتيح لحسان ان يروح عن نفسه بانشادهما ما شـــاء ان ينشد ، حتى اذا فرغ حسان ، قال له عمر : أفرغت ؟ قال نعم فقال له : انشداك في الخلاء ، وانشدتهما في الملأ . وخاطب عبداللـــه وضرارا : ان شئتما فاقيما وان شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : اني كنت نهيتكم ان تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا ، دفعا للتضاغن وبث القبيح فيما بينكم ، فأما اذا ابوا فاكتبوه واحتفظوا به . فدونوا ذلك عندهم . قال الراوي : فادركته والله وان الانصار لتجدده عندها ، اذا خافت بلاه .

وقد حسم عمر هذه المشكلة المتأصلة في النفوس ، فهو يعرف يقينـا أن منعه هذا الشعر لن يجدي شيئا ، ما دام الناس يعتزون بمقولاتهـــم ، التي يعتبرونها جزءا من امجادهم ، وتراثهم القبلي ، فالقضية تجاوز كونهـا صراعا بين الاسلام واعدائه ، او بين الايمان والكفر ـ ايام المعارك بين مكة

(١) هو اخو عبدالله بن جحش الذي قاتل المشـــركين في الحـرم ونزلت في ذلك الآيات . واخو زينب بنت جحش زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وكان ضريرا .

(٢) الاغاني ج ٤ ص ١٤٠ ـ ١٤١ ط الدار

والمدينة ـ الى كونها عصبية قبلية ، بين مكة والمدينة ، او بين قريش من جهة ، وبين الخزرج والاوس من جهة ثانية • فلا غرابة ولا عجب ان تجدد الانصار ذلك الشعر ، اذا خافت بلاه • وقد عالج عمر هذه الظاهرة معالجة نفسية ، اذ لولا انه اتاح لحسان ان يروح عن صدره الحاقد المغتاظ ، لما كف عن سلق الشاعرين وسلق قريش بلسانه البذيء السليط ، [1] ولبعثها بين الفريقين جاهلية تارة اخرى ، ولم لا والناس حديثو عهد بالاسلام ، والسلطان القبلي قوى متحكم في نفوسهم •

وكان من آثار تلك العصبية ، ان حسانا كان يغتنم الفرص ـ كلما سنحت ـ لأثارة الاحقاد ، ونبش الماضي ، في التغني بانتصار الانصار على القرشيين ، حتى ان عمر مر به يوما وهو ينشد في مسجد الرسول فأخذ بأذنه وقال : [2] « أرغاء كرغاء البعير ؟ » فاجابه حسان : « دعني عنك يا عمر فو الله لتعلم أني كنت انشد في هذا المسجد من هو خير منك، فلا يغير عليّ » • فصدقه عمر • وعمر اذ يأخذ باذن حسان ، يريد ان يردع فيه هذه النزعة الجاهلية ، التي تثير احقاد الماضي وذكرياته الدامية الرهيبة ، ويريد ان يكون مُلك المسلمين موطدا ، بحيث لا تعصف به الاهواء والعصبيات ، وينبش الماضي الذي واراه الاسلام •

اما حسان فقوله : « اني كنت انشد في هذا المسجد ، من هو خير منك ، فلا يغير عليّ » يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصحيح •

(١) لقد كان لسان حسان كثيرا ما يشطح نحو الفحش والسوء ، ولم يسلم من لسانه حتى عائشة زوج الرسول ، وحتى الذين وفدوا من الاقاصى ليبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخلوا في الاسلام ، فقال فيهم بنعرة عصبية :

ان الجلابيب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريعة امسى بيضة البلد

(٢) الاغاني ج ٤ ص ١٤٤ ط الدار والعمدة ج ١ ص ٢٨

ولكن حسانا يغفل انه كان يهاجي بالامس قوما مشركين ، وقد صاروا اليوم في عداد المسلمين ، فلا يستساغ بعد ذلك هذا الضرب من الشعر • وان روح العصر تأبى ان تعود للماضي • ويبدو ان الناس كانوا يصدون عن حسان ، ولا يأبهون لاشعاره في هذه الفترة ، حتى ان الزبير بن العوام ، كان يحث الناس على ان يسمعوا وينصتوا لاشعاره ، ويذكرهم بمكانته عند النبي ، واستماعه له •

ولم يكن عمر في خلافته قد نهى عن الشعر ، اى شعر ، وانما ينهى عن رغاء البعير ، الذي يثير الفتنة ، ويوقظ العصبية ، فهو هو الذي يدعو الى رواية الشعر وتعلمه ، وقد كتب الى عامله يقول : « مُرْ مَنْ قبلك بتعلم الشعر ••• » •

ومثلما رويت اشعار لأبي بكر الصديق ، فقد رويت لعمر ايضا ابيات ، فمن ذلك قوله : (١)

هوّن عليك فان الامور
بكفّ الاله مقاديرُها
فليس بآتيك منهيُّها
ولا قاصرٌ عنك مأمورُها

ومما يروى له : (٢)

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتُه
يبقى الالهُ ويفنى المالُ والولد

(١) ابن رشيق العمدة ج ١ ص ٣٣
(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣٤

لم تغنِ عن هرمز يوما خزائنهُ
والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا

ولا سليمان اذ تجرى الرياح له
والجن والانس فيما بينها ترد

حوض هنالك مورود بلا كذب
لابد من ورده يوما كما وردوا

وكذلك قيل ، ان القطعة السابقة لورقة بن نوفل ، وغير بعيد ان عمر قد تمثل بقول ورقة ، وكثيرا ما كان يتمثل الخلفاء باشعار ، فيحسبها الناس اشعارهم .

وروى له هذان البيتان : (١)

توعدني كعبٌ ثلاثا يعدها
ولاشك ان القولَ ما قال لي كعبُ

وما بي خوفُ الموت انى لميتٌ
ولكن خوفَ الذنب يتبعه الذنبُ

ورويت قطعة من الشعر لعمر حين اسلامه ، نرويها هنا وهي اجمل من ان تكون صحيحة :(٢)

الحمدُ للهِ ذى المن الذي وجبتْ
له علينا ايادٍ ما لها غيرُ

(١) ابن رشيق ـ العمدة جـ ١ ص ٣٤
(٢) انظر الروض الانف للسهيلي في خبر اسلام عمر بن الخطاب .

وقد بدأنـــا فـــكذبنا فقـــال انـــا

صدق الحديث نبىٌّ عنـده الخبـرُ

وقد ظلمت ابنةَ الخطاب ثم هـــدى

ربى عشية قالوا قـد صبَا عمـــرُ

وقد ندمتُ على مـا كـــان من زللٍ

بظلمها حين تُتلى عندهـا الســـورُ

لما دعت ربَّها ذا العـرشِ جاهـدة

والدمعُ من عينها عجلان يَبْتَدِرُ

ايقنتُ أن الذي تدعـوهُ خالقُهـــا

فكاد تســــبقني مــن عَبرةٍ دررُ

فقلت اشهـــــدُ أن اللـه خالقُنـــا

وان احمدَ فينـــا اليومَ مشتهـــرُ

نبي صدقٍ أتى بالحــق من ثقـــةٍ

وافى الامانةِ مـــا في عودِه خَوَرُ

عثمان بن عفان

لم يعرف عثمان رضي الله عنه باقباله على الشعر ، ولم تسجل لـه مواقف او احكام نقدية ، مثل مواقف عمر بن الخطاب واحكامه ، ويبـدو انه لم يكن ليستنشد احدا من الشعراء ، حتى ان الرواية التي تذكـــر تقريبه لابي زبيد الطائي الشاعر المعمر (عاش خمسين ومائة سنة) ، لــم تذكر ان عثمان استنشده شعرا ، بل ان ابا زبيد دخل على عثمان يوما ـ وكان يقربه ويدني مجلسه ـ وعنده المهاجرون والانصار ، فتذاكروا مآثر العرب واخبارها واشعارها (١) .

وكذلك يرد ذكر النابغة الجعدي مع عثمان ، دون ان يذكر شيء عن استماعه لشعره ، فقد قيل ان النابغة دخل على عثمان يستودعـــه ، قال : (٢) « استودعك الله يا امير المؤمنين ، قال : وأين تريد يا ابا ليلى ؟ قال : ألحق بابلى فأشرب من البانها ، فانى منكر لنفسى . قال : أتعربـــا بعد الهجرة يا ابا ليلى ؟ أما علمت ان ذلك مكروه ؟ قال : ما علمته ومـــا كنت لاخرج حتى اعلمك » . قالوا : فأذن له عثمان وأجل له في ذلك أجـــلا ..

تذكر هذه الرواية ، دون ورود اثر للشعر فيها ، مع ان النابغـــة معروف بشعره المتسم بالايمان ، على الرغم من بداوته . ولم يفعل عثـمان

(١) ياقوت الحموي ـ ارشاد الاريب ، في ترجمة حرملة بن المنذر .
(٢) الاغـــاني جـ٥ ص ١٠

حيال النابغة ما فعله الحسنان ـ الحسن والحسين ـ ابنا علي رضي الله عنهم نقد ذكرت الرواية نفسها : ان النابغة دخل عليهما فودعهما ، فقالا له : انشدنا من شعرك يا ابا ليلى فأنشدهما :

الحمدُ للـه لا شريكَ لـه

من لم يَقلهَا فنفسهُ ظلما

والظاهر ان عثمان كا نيعرض عن الشعراء ، وينظر اليهم على انهم ضعيفو المرؤة ، ومصداق ذلك ما روى في خبر سحيم ، قالوا :[1] « أُتي عثمان بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريه ، فقالوا : انه شاعر ، وارادوا ان يرغبوه فيه ، فقال : لا حاجة لي به ، اذ الشاعر لا حريم له ، ان شبع شبب بنساء اهله ، وان جاع هجاهم » •

وكما كان عمر قد اقتفى خطة رسول الله صلى الله عليه وسلم في استخدام الشعر في صالح الدين ومصلحة المسلمين ، فقد حاول عثمان ان ينهج نهج عمر ويتبع خطاه ، الا ان طبيعة عثمان اللينة ، والظروف التي صاحبت عهده ، لم تتح له ان يبلغ شيئا مما بلغته عدالة عمر الحازمة • وقد وجد اصحاب الاهواء والمصالح فرصتهم في عهده بعد تضييق عمر وكفاءته • وليس بخاف ما كان من تدخل وتهور اقربائه وطيشهم ، بحيث ساعدوا ـ من حيث لا يدرون ـ على اشاعة التذمر والسخط[2] فاشرأب لذلك كله عنق الفتنة واستبد ، حتى تخطفت الناس فكان هو اول صرعاها• ويهمنا هنا ما كان من امر الشعراء وجرأتهم على ارتكاب الموبقات ، بل

(١) الاغاني ج ٢٠ ص ٤ ط ساسى

(٢) من ذلك شطحات مروان وسكر الوليد بن عقبة اخيه لامه وغير ذلك • هذا اذا صحت مرويات المسعودي في مروج الذهب ، مع ان المسعودي موصوف بالهوى والعصبية على عثمان وبني أمية • انظر تحقيق صفته في العواصم من القواصم ـ للقاضى ابن عربى ص ٢٤٩

تجاوزهم على عثمان نفسه ، ومع ذلك فقد اخذهم عثمان بالعقوبة ، ما كانت له القوة ، وما استطاع الى ذلك سبيلا .

ولندع اخبار الشعر تصف جانبا من ذلك :

بلغ عثمان ان كعب بن ذي الحبكة النهدي ، يعالج نيرنجا ، فأمر الوليد بن عقبة بتعزيره ونفيه الى (دنباوند) ، لانها ارض سحره . فقال كعب في ذلك يخاطب الوليد :[1]

لعمري لئن طردتني ما الى التي
طمعت بها في سقطتي لسبيل
رجوت رجوعي يا ابن اروى ورجعتي
الى الحق دهرا غال ذلك غول
وان اغترابي في البلاد وجفوتي
وشتمي في ذات الاله قليل
وان دعائي كل يوم وليلة
عليك (بدنباوندكم) لطويل

فلما ولى سعيد بن العاص اعاده واستصلحه .

وقد شكا اهل الكوفة الى عثمان ، ان واليه الوليد بن عقبة[2] يشرب مع ندمائه ومغنيه ، من اول الليل الى الصباح ، وقد صلى في الناس صلاة الفجر اربعا ، وقال : أتريدون ان ازيدكم ؟ وخطب فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ويتمثل بأبيات لتأبط شرا :

ولستُ بعيدا عن مُدام وقينةٍ
ولا بصفا صلد عن الخير معزل

---

(١) تاريخ الطبري جـ٢ ق٢ ص٣٠٣٣ .

(٢) انظر الحادثة مفصلة في مروج الذهب للمسعودي جـ٢ ص ٣٤٤ _ ٣٤٥ .

ولكنني اروى من الخمـــرِ هامتـي

وامشى الملا بالســاحب المتسلســـل

وقد تردد عثمان في حده ، فقد شك في شهادة اهل الكوفة ، لـولا ان تدخل علي بن ابي طالب ، فأقام عليه الحد بنفسه(١) .

ويبـدو ان للوليـد سـابقات في شـــرب الخمر زمـــن ولايتـــه على الكوفة ، فهذا ابن ارطأة كان ينادمه ويخاطبه بقوله : (٢)

أصبح نديمك من صهبـاءَ صافيـة

حتى يروحَ كَريمـا ناعـمَ البــالِ

واشرب ُهديتَ أبا وهبٍ مجاهرةً

واختلْ فانك مـن قـومِ أولى خـــالِ

اما الحطيئة فقد اخذ يتفكه بالحادثة ، ويسخر بطريقة خبيثـــة ماكرة : (٣)

شهد الحطيئةُ يوم يلـــقى ربَّـــهُ

أن الوليدَ أحـــقُ بالعـــــذرِ

نادى وقــــد تمّت صلاتُهـــمُ

أأزيـــدُكـم ؟ ثَمـلاً ومـا يدري

ليزيــــدهم اخـــرى ولو قبلـــوا

لقرنتَ بين الشـــفعْ والـــوتـــرِ

حبســوا عنـــانك في الصلاة ولـــو

خلوا عنـــانك لـم تزل تجـــري

---

(١) مروج الذهب جـ٢ ص٣٤٥

(٢) الاغاني جـ٢ ص٨٠ ط بولاق . ابو وهب : كنية الوليد . واختل : من الخيلاء والزهو .

(٣) مروج الذهب جـ٢ ص ٣٤٤

على ان من الناس من يذهب الى دحض هـــذه الروايات وتكذيبها ، وانها من صنع اهل الكوفة او من على شاكلتهم[1] .

وفي عهد سعيد بن العاص والي عثمان على الكوفة ، نقب بعض اهــل الكوفة على ابي الحيسمان الخزاعي وقتلوه ، وشهد عليهم ابو شـــريح الخزاعي ، فأمر عثمان بقتلهم ، فقتلهم سعيد على باب القصر في الرحبـة ، وقال في ذلك عمرو بن عاصم التميمي معتزا بملك عثمان بالغا به الحماس حد السب والاقذاع[2] :

لا تأكلوا أبـــدا جيرانكُم ســرفـــا
اهلَ الدعارةِ في مُلكِ ابن عثمانِ
ان ابنَ عثمـــان الـــذي جَرَّبْتمُ
فطَم اللصوصَ بمحـكم الفُرقـانِ

ورفع بنو نهشل شكواهم الى عثمان ، من ضابىء بن الحرث بـــن ارطأة البرجمي ، لانه هجاهم افحش هجاء واقبحه ، لمطالبتهم اياه بكلبهم (قرحان) ، الذي استعاره منهم لصيد الظباء فحبسه عنهم حولا ، قال : [3]

تجشم دوني وفـــدُ قرحانَ خطـةً
تظـلُ لهـا الوجنـاءُ وهي حسـيرُ

(١) انظر ابن عربي ـ العواصم من القواصم ص٦٣ وما بعدهــا وكذلك تعليقات المحقق .

(٢) الطبري جـ٢ ص ٢٨٤٠ .

(٣) طبقات الشعراء ١٤٤ والشعر والشعراء ١٢٦ والطبري جـ ٢ ص ٣٠٣٤ . الخطة هنا : الطريق . الوجناء : الناقة التامة الخلق ، الصلبة الشديدة . حسير : انقطع سيرها من الاعياء والكلال . اردفتـــه شـيئا : أتبعته . حباهم : اعطاهم واكرمهـــم . المرزبان : الرئيس من الفرس . عثنت : دخنت والعثان (بضم العين) الدخان . الدخنة : بخور يدخن بـــه البيت والثياب . هرير الكلب : صوت دون النباح . يصف بهذا امـــرا قبيحـــا .

فأردفتهم كلبا فراحوا كأنهم
حباهم بتاجِ المُرزبانِ امير
فأمكُم لا تتركوها وكلبكُم
فان عقوقَ الوالداتِ كبير
اذا عثنت من آخرِ الليلِ دخنة
يظلُ لها فوقَ الفراشِ هرير

فلما سمع عثمان بن عفان هذه القطعة البذيئة قال : « ويلك ما سمعت احدا رمى امرأة من المسلمين بكلب غيرك ، واني لاراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانزل فيك قرآنا ، ولو كان احد قبلي قطع لسان شاعر في هجاء لقطعت لسانك » . فحبسه في السجن ، وكان قد حاول الفتك بعثمان اثناء زيارة عثمان له ، ويظهر اسفه على انه لم يفعل بقوله :

هممتُ ولم افعلْ وكدتُ وليتني
تركتُ على عثمانَ تبكي حلائِلُه

واخيرا قال حنظلة الكاتب ، يصف ما كان من امر الناس حينما حاصروا عثمان في داره عند اشتداد الفتنة :(١)

عجبتُ لما يخوضُ الناسُ فيه
يرومونَ الخلافةَ أن تزولا
ولو زالت لزالَ الخيرُ عنهم
ولاقوا بعَدها ذُلاً ذليلا

---

(١) الطبري جـ ٢ ص ٣٠١١

وكانوا كاليهـــودِ او النصـــارى

سواء كلهـــم ضَلـــوا الســـبيلا

ذلك ما كان من امر الشعر عند عثمان بن عفان ، لم يقبل عليـه ولم يستنشد احدا من الشعراء ، وان لم ينهَ عن روايته وانشاده ، وفي اكبـر الظن انه لولا ان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشجع الشعر ، ويقبل عليه ، لكان امره غير ما كان • وقد حاول عثمان ان يتبع خطـى عمر بن الخطاب في تسخير الشعر لصالح الامة ، ونشر مبادىء الاسلام ، وكمَ افواه الشعراء الهجائين وتأديبهم ، الا ان التوفيق الذي حالف عمـر اخطأ عثمان رضي الله عنه •

عَلِيّ بنُ أبي طَالِب

اما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فقد كان يقدر الشعر ، ويتمثل به ، ويرويه ، وينظمه ، ويجدر بنا ان نقف في نهاية هذا الفصل ، لنقول شيئا حول ما يُنسب اليه من شعر • ان حياة الامام علي التي حفلت باحداث هامة ، كان الشعر من اسلحتها البارزة • ولذلك فنحاول ان نعرض لأمر الشعر في حياة الامام علي •

روى ابن رشيق ، أن عليا كان يقول : (١) « الشعر ميزان القول »• ورواه بعضهم : « الشعر ميزان القوم » وفي كلا الروايتين يعطي للشعر قيمته الرفيعة ، وان كنا نرجح الرواية الاولى ونرفض الثانية ، حيث لا يصح ان يكون الشعر ميزانا للناس ، فقد يرفع الشعر وضيعا ، ـ وكثيرا ما رفع ـ وقد يضع رفيعا او يهون من قدره • وخير الشعر اكذبه كما يقول زهير • ولكن الشعر بما فيه من موسيقى تزن الكلام وتنغمه وتساوق العبارة وتنسقها ، يكون ميزانا للقول المهذب الجميل •

لقد كانت خلافة علي متعبة مضطربة ، عانى خلالها ضروبا من الجهد المضني ، والارهاق والحروب المستمرة والفتن الناشبة • فقد تمردت البصرة واستعر أوار الفتنة فيها وخرج اليها طلحة والزبير ، واستغل المغرضون عائشة زوج الرسول ، فاذا ما انتصر علي في واقعة الجمل

---

(١) العمدة جـ١ ص ٢٨

واخضع البصرة ، توجه الى معاوية الذي اعلن عصيانه في الشام ، واذا كانت سيوف علي قد ظهرت على سيوف معاوية ، فان فتنة اهل العراق وشغبهم قعد بالخليفة الشرعي دون النصر ، حيث انطلت عليهم لعبة عمرو بن العاص برفع المصاحف . فاذا ما اجبروا عليا على قبول التحكيم انشق منهم من انشق بحجة : « ان لا حكم الا لله » وهي حجة ظاهرها حق وباطنها لا يعلمه الا الله ، واولئك هم الخوارج . فاذا ما كسر علي شوكتهم في النهروان ، تفرق عنه صحبه الذين جاءوا معه ، وتسللوا الى بيوتهم.[١] ولم يكد يستقر في الكوفة ، حتى عاجله ابن ملجم بطعنات منحته الشهادة ، رضي الله عنه .

ولذلك لم يكن عهد علي عهد استقرار ، حتى نتمكن ان نجد احداثا له مع الشعراء . ولكن هذا لا يعني ان عليا كان يعرض عن الشعر كما فعل عثمان ، فلو صح ذلك الفرض لمنع غالب بن صعصعة من تعليم ابنه الشعر .

فقد دخل غالب على علي ايام خلافته ـ وغالب شيخ كبير ـ ومعه ابنه همام ، (الفرزدق) وهو غلام يومئذ ، فقال علي رضي الله عنه[٢] : « من هذا الغلام معك ؟ قال : هذا ابني ، قال ما اسمه ؟ قال همام ، وقد رويته الشعر يا امير المؤمنين ، وكلام العرب ، ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا » .

وقد كان علي يعطي على الشعر والكلام الحسن ، ففي رواية نذكرها بتمامها لطرافتها ـ :[٣] « ان اعرابيا وقف على علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، فقال : ان لي اليك حاجة رفعتها الى الله قبل ان ارفعها

---

(١) انظر المسعودي ـ مروج الذهب جـ٢ ص ٤٤٨
(٢) خزانة الادب جـ١ ص ٢٠٦
(٣) العمدة جـ١ ص ٢٩

اليك ، فان انت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك ، وان لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك ، فقال له علي : خطّ حاجتك في الارض ، فاني ارى الضرّ عليك ، فكتب الاعرابي على الارض : اني فقير . فقال علي : ياقنبر : ادفع اليه حلّتي الفلانية ، فلما اخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتَني حُلةً تبلى محاسنُها
فسوف اكسوكَ من حُسنِ الثنَا حُللا

ان الثنَاء ليُحيي ذكرَ صاحبه
كالغيثِ يُحيى نداهُ السهلَ والجبلا

لا تزهد الدهرَ في عُرفٍ بدأتَ به
فكلُ عبد سيُجزى بالذي فعلا

فقال علي : يا قنبر اعطه خمسين دينارا ، اما الحلة فلمسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انزلوا الناس منازلهم » .

وكان علي يسمع الشعر ينشد بين يديه ، وبخاصة ذلك الشعر الذي يدعو الى مكرمة او يثبت حقا ، ويدحض باطلا ، فمن ذلك ما كان ينشده النابغة الجعدي في طريقه الى صفين بين يدي علي » :(١)

قد علم المصرانِ والعراقُ
أن عليا فحلُها العتاق

ابيض جحجاح له براق
وامه غالى بها الصداق

(٢) الاغاني جـ ٥ ص ٣٠

اكــــرم من شـــدّ بـــه نطـــاق
ان الاولى جـــاروك لا افاقـــوا

لـــكم ســـياق ولهـــم سياق
قـــد علمت ذلـــكم الـــرفاقُ

سقتم الى نهـج الهُـدى وســـاقوا
الى التي ليســ لهـــا عـــراق(١)

في ملَّـــة عـادتُها النفـــاقُ

وقد سخّر علي بن ابي طالب الشعر في سبيل المصلحة الاسلاميـــة ، والاهداف الحربية ، وان كانت هذه الاهداف قد غطتها الفتنة ، ووقفت في سبيلها المصالح والاطماع ، ونحاول هنا ان نظهر دور الشعر الذي استخدمه علي متمثلا او قائلا ، ونثبت هنا من اقواله ما ترجح صحته ، معرضـــين عن الاشعار الموضوعة او المشكوك في صحتها ، ثم نقول كلمة في شاعريـة علي وما ينسب اليه من الشعر •

جاء في السيرة ، أن عليا كان يرتجز اثناء بناءمسجد الرسول في المدينة :

لا يستوى من يعمـــر المساجـــدا
يَدأبُ فيـــه قائمـــا وقاعِـــدا
ومن يرى عن الغبـــارِ حـائِـــدا

وقد عقب ابن هشام على هذا بقوله : « سألت غير واحد من اهـــل العلم بالشعر ، عن هذا الرجز فقالوا : بلغنا ان علي بن ابي طالب ارتجز به ، فلا يدرى أهو قائله ام غيره »(٢) •

(١) عراق ـ اي مضلة لا نهاية لها ولا غاية •
(٢) السيرة ق١ ص ٤٦٧

وقد روى ابن اسحق ثلاث قصائد منسوبة لعلي ، ولم تصح لـــه ، ويرجح انها قيلت في المعارك الاسلامية من قبل احد المسلمين ، وقد نظروا الى معانيها الدينية فرأى الرواة انها تناسب عليا فنسبوها له •

وارى أن من الخير أن نتعرف على هذا الشعر ، ففيه روح اسلامية ، وجزالة تناسب ما عرف عن الامام من فصاحة واسلوب بليغ ، ولابد ان يكون المصدر الذي نقل عنه ابن اسحق هذا الشعر ونسبه لعلي ، على قدر كبير من العلم بالشعر وبالرجال ، بحيث يوفق هذا التوفيق في اضافـــة الاشعار لمن يمثلون معانيها في اقوالهم وخطبهم •

فأما القصيدة الاولى فقد قيلت في بدر ، وهي من جياد القصائد التي تصور بلاء المسلمين ونصرهم ، وظهور دين الله على دين الشرك والوثنية، وفيها ذكر لهزيمة المشركين من قريش ، وتذكيرهم بعـــذاب الآخـرة ، قيـــل :(١)

ألـم ترَ أن اللـــه أبلى رســـوله
بلاءَ عزيز ذي اقتدار وذي فضـــل

بما أنـــزل الكفـــار دار مذلـــه
فلاقوا هوانا من اســـارٍ ومن قتـــل

فأمسى رسولُ اللـــه قد عزَّ نصُره
وكان رسولُ الله أرسل بالعـــدل

ويذكر المشركين :

دعـا الغي منهـم من دعـا فأجابـــه
وللغي أسـباب مرقعـــة الوصل

(١) السيرة ق٢ ص ١١ ـ ١٢

فأضحوا لدى دار الجحيـــم بمعزل
عن الشغب والعدوان في أشغل الشغل

وكان الحارث بن هشام قد أجابه بنقيضة منها :

عجبت لاقــوام تغنــى ســـفيههم
بأمر سفاه ذي اعتراض وذي بطـــل

تغنى بقتلى يوم بـدر تتابعـــوا
كرام المساعي من غـلام ومن كهـل

وقد قال ابن هشام في القصيدتين : ولم أر أحدا من أهل العلم بالشـــعر يعرفها ولا نقيضتها ، وانما كتبناهما لانه يقال : ان عمرو بن عبدالله بن جدعان ، قتل يوم بدر ولم يذكره ابن اسحق في القتلى وذكره في هـــذا الشـــعر •

أما الموضع الثاني الذي ورد فيه شعر منسوب لعلى بن ابى طالب في السيرة ، ففي أحداث أحد ، حيث ذكر له رجز ، نبه ابن هشام الى أن بعض أهل العلم بالشعر يقول : ان رجلا من المسلمين قاله ، والشعر هو هذا الرجز(١) :

لاُهمَّ ان الحارث بن الصمهْ
كان وفيــا وبنــا ذا ذمــه
أقبل في مهامــه مهمــه
كليلة ظلمــاء مدلهمــه
بين ســيوف ورمــاح جمـه
يبغي رســول اللــه فيها ثمه

(١) السيرة ق٢ ص ١٦٦

والقصيدة الثالثة قيلت يوم اجلاء بني النضير ، وقتل كعب بن الاشرف اليهودي ، قال :

عرفت ومن يعتدل يعرفِ
وأيقنتُ حقا ولم أصدفِ
عن الكلم المحكم اللاءِ من
لدى الله ذى الرأفة الارأف

وهي في خمسة عشر بيتا ، تفيض بالمعاني الاسلامية • وقد وردت نقيضة لها لسماك اليهودي ، حيث يقول(١) :

ان تفخروا فهو فخر لكم
بمقتل كعب ابى الاشرف
غداة غدوتم على حتفه
ولم يأت غدرا ولم يُخْلِفِ

وكذلك عقب ابن هشام ، بأن أحد المسلمين قال القصيدة ، غير على بن ابي طالب • وعلى كل حال فالمروى للامام على في السيرة هو من الشعر الجيد المتين ، على خلاف الشعر الذي ورد في الكتب المتأخرة فأكثره شعر ضعيف ركيك •

أما أكثر ما روي له من الشعر ، ففى الاحداث الحربية التي خاضها أثناء خلافته ، في مواقع الجمل وصفين والنهروان • يروى انه مر بين القتلى بعد معركة الجمل ، فوجد بينهم طلحة ـ وكان رماه مروان بن الحكم في أكحله ، حين رجع عن قتال علي ، بعد أن علم أن الزبير رجع ـ فوقف

(١) السيرة ق٢ ص ١٩٧ ـ ١٩٨

عليه فقال : « انّا لله وانا اليه راجعون ، والله لقد كنت كارها لهذا ، أنت والله كما قال القائل[١] :

فتى كان يُدنيه الغنى من صديقه
اذا ما هو استغنى ويبعده الفقرُ
كأن الثُريا عُلقت في يمينه
وفي خده الشِعرى وفي الآخر البدر

وكان قد أعطى الراية الى ابنه محمد بن الحنفية ، فدفعه الى الحومة ، وهو يحثه ويقول[٢] :

اطعنَهم طعنَ أبيك تُحمدِ
لا خير في الحرب اذا لم تُوقدِ
بالمشرفيّ والقَنا المُسَرّدِ

وفي صفين سقط قتلى وجرحى من الفريقين ، وكان من جند علي المرقال وناس من الاسلميين ، فوقف عليهم علي ، ودعا لهم ، وترحم عليهم ، وقال من أبيات[٣] :

جزى الله خيرا عصبة أسلمية
صباح الوجوه صُرّعوا حول هاشمِ
يزيد وعبدالله بشرُ بن معبد
وسفيانُ وابنا هاشم ذى المكارم
وعروة لا ينفد ثناه وذكره
اذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

---

(١) مروج الذهب جـ٢ ص٣٧٣
(٢) مروج الذهب جـ٢ ص٣٧٦
(٣) مروج الذهب جـ٢ ص ٣٩٣

وكانت الحملة الشديدة على جيش معاوية ، حيث تفرق وتقهقر ، حتى ظهر جيش علي على قبة معاوية ، وعلي لا يمر بفارس الا قده وهو يقــول[1] :

أضربهــم ولا أرى معاويـــة
الاخزر العين العظيمَ الحاويــة
تَهوي به في النار أم هاويــة

قال المسعودي : وقيل ان هذا الشعر لبديل بن ورقاء ، قاله في ذلك اليوم ، و لايمنع أن يكون علي قد تمثل به ، وكثيرا ما كان علي يتمثل بالشعر في حروبــه •

وفي حرب النهروان ، يخرج أحد الخوارج يرتجز بقوله[2] :

أضربهــم ولــو أرى عليـــا
ألبســتُه أبيــض مشــرفيا

فيخرج اليه علي مجيبا :

يــا أيُهــذا المبتغــي عليــا
انــي أراك جاهــلا شــقيا
قد كنتَ عن كفاحــه غنيــا
هلـم فابــرز هاهنــا اليّــا

ويحمل عليه فيقتله • ويخرج آخر فيحمل على الناس يفتك بهم ويقول[3]:

أضربهم ولــو أرى أبا حســن
ألبســته بصــارمي ثــوب غبــن

---

(١) نفس المصدر جـ٢ ص ٣٦٦
(٢) نفس المصدر جـ٢ ص ٤١٦
(٣) نفس المصدر جـ٢ ص٤١٧

ويخرج اليه علي وهو يقول :

يا أيُهذا المبتغي أبا حسن
اليك فانظر أينا يلقى الغَبَنْ

وحمل عليه علي ، وشكه بالرمح تاركا الرمح فيه قائلا : « لقد رأيت أبا حسن فرأيت ما تكره » .

وكان الامام علي رضوان الله عليه ، كثيرا ما يتمثل[1] :

تلكم قريش تمناني لتقتلني
فلا وربِك ما بروا ولا ظفروا

فان هلكت فرهن ذمتي لهم
بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وكأنه كان يحس ويتوقع أن تعالجه يد الغدر ، فكان يتأهب للموت ويقول[2] :

أشْدد حيازيمَك للموتِ فان الموتَ لاقيكا
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا

وقد أنشد هذين البيتين عندما طعنه ابن ملجم ، وكان قد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح الباب ـ باب داره ـ وكان من جذوع النخل ، فاقتلعه وجعله ناحية ، وانحل ازاره فشده ، وقال : « أشدد حيازيمك للموت » .

ومما يذكر هنا أن ابن ملجم كان ينشد أيضا قوله الذي يوضح فيه سبب غدره بعلي ، حيث كانت جريمته ثمنا لمهر (قطام) ابنة عمه ـ وكانت أجمل أهل زمانها ـ الموتورة بقتل أبيها وأخيها في النهروان ، وقد فرضت

(١) نفس المصدر جـ٢ ص ٤١٨
(٢) مروج الذهب جـ٢ ص٤٢٠

على ابن ملجم ثلاثة آلاف ، وعبدا ، وقينة ، وقتل علي ، فقال في ذلك[1] :

ثلاثة آلافٍ وعبد وقينة
وقتلُ علي بالحسام المصممِ
فلا مهر أغلى من علي وان غلا
ولا فتكَ ألاّ دون فتكِ ابن ملجم

فاذا صحت هذه الرواية ، فيكون دافع ابن ملجم بعيدا عن عقيدة الخوارج بل يكون مرتكسا في شهوة امرأة .

نسبة الديوان :

لقد درج المتأخرون على عد علي بن أبي طالب في الشعراء ، ونسبوا اليه شعرا كثيرا ، بل جمعوا ذلك الشعر في ديوان ، وضعوا عليه اسم الامام . والمتصفح لذلك الديوان يجد فيه ميزتين : الاولى ، بعد تلك القصائد ومجافاتها لروح العصر . والثانية ، اختلاف تلك القصائد قوة وضعفا ، مما يدل على أن الذين نسبوا اليه تلك القصائد ، مختلفون تتباين ثقافاتهم ، وتختلف أزمانهم ، على خلاف ما يشير اليه كارلو نالينو[2] : من أن الديوان من صنع الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن طاهر المتوفى سنة ٤٣٦هـ ، وقد كان أول من زعم هذا الزعم ، السيد مستقيم زاده أحد مؤلفي الاتراك ، وكذلك ذهب كليمان هوار[3] ، وقد زعم بعض الكاتبين ان واضعه هو الشريف الرضى ، جامع نهج البلاغة الا أن شعر الشريف الرضى أقوى ، واسلوبه أكثر اشراقا . أما الديوان المنسوب

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) تاريخ الآداب العربية ص ٩٨ ـ ٩٩

(٣) ادب العرب ص ٢٥٢ عن نالينو المصدر السابق .

فضعيف الصنعة ، ركيك السبك ، واهي العبارة ، لا يرقى الى كلام الامام علي بن أبي طالب[1] •

وقد ظن الذين نسبوا الى الامام ما لم يقل ، انهم يحسنون صنعا ويرفعون من قدر علي ـ كما نسبوا اليه أمورا كثيرة هي في عداد الاساطير ومن نسج الخرافة ـ وعندنا أن ذلكم الصنيع ليسيء كثيرا الى الاسلام والمسلمين ، والى شخصية الامام ، ولئن كان خليفة المسلمين منزها عن الشعر ، وأوهام الشعراء وأهواءهم ، خير له وللدين من أن يحسب في عداد الشعراء • الا أن نزعة التقرب الى العوام ، بدغدغة أوهامهم ، تأبى الا أن تحوك الاكاذيب والاباطيل حول آل البيت ، وتحملهم ما هم بريئون منه ، ومن تلك الاباطيل الكاذبة نسبة الديوان الى علي بن أبي طالب رضى الله عنه •

واننا ندعم زعمنا بالدليل التاريخي البين : فقد جاء في الاخبار ان قائلا قال لعلي ـ أبان المعركة بين المسلمين وقريش ـ : « اهج عنا القوم الذين يهجوننا » • فقال : « ان أذن لي رسول الله فعلت » ، فقالوا : يارسول الله ائذن له ، فقال الرسول : « ان عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه » أو قال : « ليس في ذلك هنالك »[2] • ولم يعرف عن علي أنه كان يهاجي المشركين في الغزوات الاسلامية ، حين اشتدت المعركة الشعرية بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين ، اللهم الا ما ذكر ابن اسحق في السيرة النبوية ، من قصائد يناقض فيها ابن الزبعرى ، وقد تعقب ابن هشام ابن اسحق ، فصحح وَهْمَ ابن اسحق ، فقال : انها لم تصح مع نقائضها ، وقد أنكرها علماء الشعر •

---

(١) وينسبون احيانا الى علي القصيدة الزينبية في الحكم والمواعظ والتي من نظم صالح بن عبدالقدوس المقتول ايام المهدي سنة ١٦٧هـ •
(٢) انظر الاستيعاب جـ١ ص٣٤١

وقد ذكر ياقوت الحموي عن أبي عثمان المازني ، انه لم يصح أن عليا تكلم من الشعر بشيء غير بيتين[١] • على اننا نذهب الى أن لعلي أكثر مما يظن أبو عثمان المازني ، فقد كانت لعلي شاعرية ، وكان يقول الابيات والمقطوعات تدعوها المناسبة ، أو يجيش بها صدره ، ولكن لم تكن تلك الشاعرية منصرفة الى الشعر بحيث تؤلف ديوانا • وكذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ما قورنت شاعرية علي بشاعرية أبي بكر وعمر ، كان علي أخصب شاعرية وأكثر شعرا • ذكر أن سعيد بن المسيب قال : « كان أبو بكر شاعرا ، وعمر شاعرا وعلي أشعر الثلاثة »[٢]•

والملاحظ أن شعر الفترة النبوية يكثر فيه الوضع[٣] ، فلا يصح أن يؤخذ دون فحص وتمحيص ، وقد كان هم الواضعين أن يحملوا أصحاب رسول الله وآل بيته المقربين كثيرا من ذلك الشعر الفاسد المصنوع ، فقد نسبوا ديوانا لعلي بن أبي طالب ، كما نسبوا ديوانا لابيه أبي طالب ، وكذلك وضعوا قصائد على لسان حمزة عم رسول الله ، وكذلك فعلوا مع طالب بن أبي طالب وغيرهم ، وان كنا لا ندفع أن يكون لهم شعر وتكون لهم شاعرية ، الا اننا لا نستطيع أن نطمئن الى كل ما يروى لهم •

---

(١) معجم الادباء جـ٥ ص ٢٦٣ ط مرجليوث •

(٢) العقد الفريد جـ٥ ص٢٨٣

(٣) انظر تفصيل ذلك في كتابنا (شعر المخضرمين) •

وإذا كان لا بد من أن نورد مثالا لذلك الشعر الفاسد المصنوع ، فنذكر هنا ما يقال من أن عليا كان اذا سار بأرض الكوفة ارتجز[1] :

يا حبذا السير بأرض الـكوفة

أرض سـواء سـهلة معروفـة

تعرفهـا جمالنـا المعلوفـة

فنجد هنا ضربا من الكلام ، لا يرقى الى بلاغة الامام . ويتضح هنا ان أهل الكوفة قد صنعوا ذلك في تفضيل بلدهم .

(١) العقد الفريد جـ٥ ص ٢٨٧

الخاتمـة :

وبعد : فهذا ما عنّ لي وأنا أستخلص وجهــة النظر الاسلامية ، وموقف الاسلام من الشعر والشعراء ، كما ظهر في كتاب الله العزيز ، وما روي عن الرسول الكريم ، وعن صحابته أمراء المؤمنين ، وما نقــل اليهم وعنهم حول الشعر والشعراء .

وقد نمى الي ـ حين هممت أن أدفـع اصول هـــذا الـكتاب الى المطبعة ـ أن هناك مقالا في مجلة كليــة الآداب العراقيــة يحمل اســم الاسلام والشعر ، فنظرت فيه فهالني أن يذهب صاحبه فيه مذهبا يجانف الحق ، ويجافي وجهة النظر الاسلامية ، وطبيعة الفهم العربي للشــعر والفنون عامة . فقد حاول الكاتب أن يبذل الجهد كله في الربط بين نظرة أفلاطون للشعر ونظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محاولا ايجاد علاقات وصلات يعقد عليها المقارنة . وقد فات عليه البون الشاسع بــين النظرتين ، فنظرة أفلاطون متأتية من تأملاته المثالية ، التي لا صلة لهـا ولا شبه يجمعها بالفكرة الاسلامية ، مع أن نظرة رسول الله صلى الله عيه وسلم نابعة من طبيعة الدين ، والحياة ومصلحة المسلمين ، وظروف الدعوة الاسلامية .

والغريب أن يفوت على فريق من الـكاتبين ، ممن لا يتثبت ، أن تأثير الفكر اليوناني انما دخل الحياة الاسلامية في فترة متأخرة من حياة المسلمين ، وان الكتاب المسلمين ـ وحتى المتأخرين منهم ـ حين كتبــوا حول الشعر ورأي الاسلام فيه ، لم يكونوا متأثرين بالفكرة الافلاطونية ، بل كانوا ينظرون للشعر ـ وكل الآداب ـ من الزاوية التي يحل فيهـا

أو يحرم ، ومن حيث ملائمته الآداب الدينية ، واستجابته لحاجة الاسلام ، ومصلحة المسلمين •

والاغرب من هذا وذاك ، ان ينظر لتأثر علماء المسلمين بالافكار اليونانية ، كحقيقة واقعة لا يرقى الشك اليها ، ثم يسحب ذلك التأثير المفترض والمتأخر الى حياة المسلمين الاولى ، بله الى تفكير رسول الله صلى الله عليه وسلم •

نسأل الله العلي القدير ، أن يجنبنا الشطط ، ويعيذنا من الأنزلاق في الهوى ، واتباع الدعوات الضالة المضلة ، ويعصمنا من الجهل الذي هو كالعمى ، والذي يوفي بأهله الى النار • انه سميع قريب ، يجيب دعوة الداعي اذا دعاه • والحمد لله أولا وآخرا •

يحيى الجبوري

بغداد ـ الاربعاء ٢٩ محرم ١٣٨٤هـ
١٠ حزيران ١٩٦٤

مصادر البحث ومراجعه

الآلوسي ـ محمود شكري ١٣٤٢هـ
بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب بعناية محمد بهجة الاثري ط٢ ١٣٤٢هـ مصر
ابن الاثير ـ علي بن محمد بن الجزري ٦٣٠هـ
النهاية في غريب الحديث والاثر ط حجرية
الاشموني
شرح الاشموني على ألفية ابن مالك القاهرة ١٩٤٧
الاصفهاني ـ أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاموي ـ ٣٥٦هـ
الاغاني ط ساسي وط دار الكتب
الاصفهاني ـ أبو نعيم
حلية الاولياء وطبقات الاصفياء
البخاري ـ أبو عبدالله محمد بن اسماعيل ٢٥٦هـ
صحيح البخاري ط الحلبي ١٣٤٥ مصر
بروكلمان ـ كارل بروكلمان
تاريخ الادب العربي ترجمة عبدالحليم النجار ط دار المعارف ـ مصر
البغدادي ـ عبدالقادر بن عمر ـ ١٠٩٣هـ
خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ط الميرية بولاق
البهبيتي ـ نجيب محمد
تاريخ الشعر العربي ط دار الكتب ١٩٥٠ مصر
البيضاوي ـ أبو سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي ـ ٦٨٥هـ
تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ط٢ البهية المصرية ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م
التبريزي ـ أبو زكريا يحيى بن علي ـ ٥٠٢هـ
شرح بانت سعاد ط كرنكو
الثقفي ـ أبو محجن
ديوان أبي محجن الثقفي بعناية لودوفيكوس آبيل ط بريل ١٨٨٧م

الجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ـ ٢٥٥هـ

١ ـ البيان والتبيين ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

٢ ـ الحيوان ط عبدالسلام هارون مصر

الجبوري ـ يحيى وهيب

١ ـ لبيد بن ربيعة العامري ط المعارف بغداد ١٩٦٢

٢ ـ شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ط الارشاد بغداد١٩٦٤

الجرجاني ـ عبدالقاهر ـ ٤٧٤هـ

دلائل الاعجاز ط رشيد رضا مط المنار ١٣٦٦هـ

الجمحي ـ محمد بن سلام ـ ٢٣١هـ

طبقات الشعراء بعناية محمود شاكر دار المعارف مصر

ابن جنى ـ أبو الفتح عثمان بن جنى ـ ٣٩٢هـ

الخصائص ط دار الكتب

ابن الجوزي

تاريخ عمر بن الخطاب ط مصر

جولد تسيهر ـ أجناس

العقيدة والشريعة في الاسلام الترجمة العربية ط دار الكاتب المصري ١٩٤٦

الحاجري ـ محمد طه الحاجري

في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ط رويال اسكندرية ١٩٥٣

ابن أبي الحديد ـ عبدالحميد بن هبة الله ـ ٦٥٥هـ

شرح نهج البلاغة ط البابي الحلبي مصر

حسان ـ حسان بن ثابت ـ ٥٤هـ

ديوان حسان بن ثابت بعناية البرقوقي ط السعادة مصر

الحصري ـ أبو اسحق ابراهيم بن علي ـ ٤٣٥هـ

زهر الآداب وثمر الالباب ط٢ بعناية زكي مبارك مط الرحمانية مصر

الحسيني ـ محب الدين محمد مرتضى

تاج العروس في جواهر القاموس

الحطيئة ـ جرول بن أوس ـ ٥٩هـ

ديوان الحطيئة شرح ابن السكيت بعناية نعمان أمين طه ط الحلبي ١٩٥٨

الحنبلي ـ ابن مفلح
الآداب الشرعية
الحوفي ـ أحمد الحوفي
الحياة العربية في الشعر الجاهلي ط نهضة مصر
ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن محمد ـ ٨٠٨هـ
مقدمة ابن خلدون ط٣ نهضة مصر
خلف الله ـ محمد خلف الله أحمد
دراسات في الادب الاسلامي ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م
ابن خلكان ـ شمس الدين أحمد بن ابراهيم الشافعي ـ ٦٨١هـ
وفيات الاعيان ط مكتبة النهضة ١٩٤٨
الزمخشري ـ جار الله محمود بن عمر ـ ٥٨٣هـ
الفائق في غريب الحديث ط حيدر آباد ـ الهند
زيدان ـ جرجي
تاريخ التمدن الاسلامي ط دار الهلال
سحيم ـ عبد بني الحسحاس
ديوان سحيم بعناية عبدالعزيز الميمني ط دار الكتب ١٩٥٠
ابن سعد ـ محمد بن سعد بن منيع الزهري ـ ٢٣٠هـ
الطبقات الكبير بعناية سخو ط ليدن ١٣٢٢هـ وط لجنة نشر الثقافة
السهيلي ـ أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ـ ٥٨١هـ
الروض الانف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، ط الجمالية مصر ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م
السيوطي ـ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ـ ٩١١هـ
المزهر في علوم اللغة وأنواعها ط السعادة مصر ١٣٢٥
الصولي ـ أبو بكر محمد بن يحيى ـ ٣٣٦هـ
أدب الكتاب بعناية الاثري ط السلفية ١٣٤١هـ
الطائي ـ أبو تمام حبيب بن أوس
ديوان الحماسة ط٣ السعادة ١٩٢٧
الطبري ـ أبو جعفر محمد بن جرير ـ ٣١٠هـ
١ ـ تاريخ الامم والملوك ط الاستقامة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٩م
٢ ـ تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)

ابن عبد ربه ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ـ ٣٢٨هـ
العقد الفريد ط أحمد أمين والابياري وهارون
ابن العربي ـ أبو بكر محمد بن عبدالله المعافري ـ ٥٤٣هـ
العواصم من القواصم تعليق وشرح محب الدين الخطيب ط السلفية ١٣٧١هـ
علي بن أبي طالب
ديوان علي بن أبي طالب ط القاهرة ١٣١١هـ
الغزالي ـ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ـ ٥٠٥هـ
احياء علوم الدين ط البابي الحلبي ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م
الفيروزاباذي ـ مجد الدين محمد بن يعقوب ـ ٨١٦هـ
القاموس المحيط ط٢ مؤسسة فن الطباعة
القالي ـ أبو علي اسماعيل بن القاسم بن عيذون ـ ٣٥٦هـ
الامالي والنوادر ط دار الكتب
ابن قتيبة ـ عبدالله بن مسلم ـ ٢٧٦هـ
الشعر والشعراء ط٢ مصطفى السقا القاهرة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م
قدامة بن جعفر ـ البغدادي الكاتب ـ ٣١٠ أو ٣٣٠هـ
نقد النثر بعناية طه حسين وعبدالحميد العبادي ط دار الكتب ١٩٣٣م
القيرواني ـ أبو علي الحسن بن رشيق ـ ٤٦٣هـ
العمدة في صناعة الشعر ونقده ط٢ السعادة مصر
كعب بن زهير ـ ٤٢هـ
ديوان كعب بن زهير ط المجمع العلمي البولوني قراقو ١٩٥٠
الكفراوي ـ عبدالعزيز
التطور والتجديد في الشعر العربي
لوبون ـ جوستاف
مقدمة الحضارات الاولى الترجمة العربية
الماوردي
أدب الدنيا والدين ط١٦
المبرد ـ أبو العباس محمد بن يزيد ـ ٢٨٥هـ
الكامل ط مصطفى محمد ـ مصر

المرتضى ـ الشريف المرتضى علي بن الحسين ـ ٤٣٦هـ
أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) بعناية أبي الفضل ابراهيم ١٩٥٤
المرزباني ـ أبو عبدالله محمد بن عمران ـ ٣٨٤هـ
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ط السلفية ١٣٤٣هـ
المسعودي ـ علي بن الحسين بن علي ـ ٣٤٥هـ
مروج الذهب ومعادن الجوهر ط محيى الدين مط الرجاء مصر
ابن منظور ـ ٧١٦هـ
لسان العرب ط بولاق ١٣٠٠هـ
نالينو ـ كالـو
تاريخ الآداب العربية ط دار المعارف مصر ١٩٥٤
ابن النديم ـ محمد بن اسحق بن يعقوب ـ ٣٨٥هـ
الفهرست ط المكتبة التجارية
النمري ـ يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ـ ٤٦٣هـ
الاستيعاب في معرفة الاصحاب ط البجاوي مصر
النويري ـ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ـ ٧٣٢هـ
نهاية الارب في فنون الادب ط دار الكتب ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م
نيكلسون ـ رينولد
تاريخ الادب العربي الاصل الانكليزي لندن ١٩٠٧
ابن هشام ـ أبو محمد عبدالملك ـ ٢١٨هـ
السيرة النبوية ط شلبي والابياري وأبي الفضل
ياقوت ـ ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ـ ٦٢٦هـ
١ ـ معجم الادباء (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب) ط الرفاعي
٢ ـ معجم البلدان ط السعادة مصر ١٣٢٤هـ ـ ١٩٠٦
اليعقوبي ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ـ ٢٨٢هـ
تاريخ اليعقوبي ط الغري ـ النجف ١٣٥٨هـ

الفهارس

١ ـ فهرس الآيات الكريمة (*)

الصفحة	الآيــة	السورة
٧	وما علمناه الشعر وما ينبغي لــه •••	يس ٣٦/٦٩
١١،٣١، ٤٢،٤٣	والشعراء يتبعهم الغاوون •••	الشعراء ٢٦/٢٢٤
٣٨	فقطع دابر القوم الذين ظلموا •••	الانعام ٤ /٤٥
٤٢،٤٦، ٤٩،٧٤	وما علمناه الشعر وما ينبغي له •••	يس ٣٦/٦٩
٤٢	بل قالوا اضغاث احلام •••	الانبياء ٥١/٥
٤٢	ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا •••	الصافات ٢٧/٣٦
٤٢	أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون	الطور ٥٢/٣٠
٤٢	وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون •••	الحاقة ٦٩/٤١
٤٣	الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات •••	الشعراء ٢٦/٢٢٧
٤٦	وما كنت تتلو من قبله من كتاب •••	العنكبوت ٢٩/٤٨
٥٤	خذ العفو وامر بالمعروف •••	الاعراف ٧/١٩٩
٨٨	فلا تزكوا انفسكم •••	النجم ٥٣/٣٢
٩٣	او يأخذهم على تخوف •••	النحل ١٦/٤٧

(*) حسب ورودها في الكتاب ، وازاء اسم السورة رقمها ثم رقم الآية بعد الخط المائل •

٢ ـ فهرس الاحاديث النبوية (*)

(*) على ترتيب ورودها في الكتاب .

٣ ـ فهرس الاعلام

ا

ش

ص

ض

ط

ع

ن

ي

٤ ـ فهرس القبائل والامم والاديان والفرق ونحوها

ا

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

س

ش

ص

ع

غ

٥ ـ فهرس الاماكن والبلدان

٦ ـ فهرس الكتب

ا

ب

ت

٧ ـ فهرس الاشعار

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
تعدون قتلا في الحرام عظيمة	راشد	عبدالله بن جحش	٨٤
لا يستوي من يعمر المساجدا	قاعدا	علي بن أبي طالب	١١٨
ان الجلابيب قد عزوا وقد كثروا	البلد	حسان	١٠٤
اطعنهم طعن أبيك تحمد	توقد	علي بن أبي طالب	١٢٢
ولو أن حمدا يخلد الناس أخلدوا	بمخلد	زهير	٨٧
يارب اني ناشد محمدا	الاتلدا	عمرو بن سالم	٦١
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته	والولد	عمر بن الخطاب	١٠٥
قوم أبوهم سنان حيث تنسبهم	ماولدوا	زهير	٨٥
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا	تزود	طرفة	٤٨ ، ٧٢
أرجزا تريد أم قصيدا	موجودا	الأغلب العجلي	٩٢
يا عين فأبكي ولا تسأمي	السيد	أبو بكر	٨٤
ان القوافي والمساعي لم تزل	فريدا	أبو تمام	١٨
أرقت لصوت نائحة بليل	الصعيد	صفية بنت عبد المطلب	٨
يا أيها الرجل المحول رحله	عبد الدار	—	٧٤
أعينيَّ جودا بدمع درر	المعتصر	برّة بنت عبد المطلب	٨
ماذا تقول لافراخ بذي مرخ	شجر	الحطيئة	٩٩
اني تفرست فيك الخير أعرفه	البصر	ابن رواحة	٥٥
فثبت الله ما أعطاك من حسن	نصروا	ابن رواحة	٤٧
أمنن علينا رسول الله في كرم	ندخر	من هوازن	٦٢

٨ ـ موضوعات الكتاب

فهارس الكتاب : ١٣٧

صدر للمؤلف :

١ ـ لبيد بن ربيعــة العامري :

ط المعارف بغداد ـ ١٩٦٢

٢ ـ شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه :

نشــر مكتبة النهضة بغــداد
ط الارشاد ١٩٦٤

٣ ـ الاسلام والشعر :

نشــر مكتبة النهضة بغــداد
ط الارشاد ١٩٦٤